

دروس من هدي القرآن الكريم

س

الإسلام وثقافة الإتياع

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ

الموافق: ٢٠٠٢/٩/٢م

اليمن - صعدة

هذه الدروس نُقلت من تسجيل لها في أشرطة
(كاسيت) وقد أُلقيت ممزوجة بمفرداتٍ وأساليبٍ
من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها
مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

إعداد: يحيى قاسم أبو عَوَاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
في البداية نقول للجميع: كثر الله خيركم، وبارك فيكم ولكم، ونشكركم على كرم ضيافتكم وحسن استقبالكم، والجلسة هذه هي عبارة عن سَمرة قابلة للحديث المتبادل، ويهمننا جميعاً أن نعرف أشياء كثيرة مهما أمكن من خلال هذه الجلسة، تعرفوا ما لدينا، ونعرف ما لديكم، كل ذلك من أجل أن يكون الجميع عارفين أين يتجهون، وفاهمين ماذا يعملون.^(١)

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). هذه الآية المهمة تُعتبر دليلاً قوياً وشاهداً عظيماً على أن الله سبحانه وتعالى باعتباره إلهاً، وملئنا، وسيدنا، ومولانا، عمل على أن يكمل لنا هذا الدين. دين كامل لا نقص فيه، واسع بسعة شؤون الحياة، واسع بقدر ما يتاح للإنسان، أو ما يقدر للإنسان أن يحصل عليه من كمال، في زكاء نفسه، وسمو روحه، بل هذا الإسلام فعلاً هو أوسع وأشمل مما يمكن أن يتصور الإنسان سواءً في واقع الحياة أو بالنسبة لنفسه.

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في الوقت الذي يسميه دينه هو يسميه أيضاً ديننا، هو ديننا، أضافه إلينا، ندين له سبحانه وتعالى به، نتعبد له سبحانه وتعالى به، نتعامل مع بعضنا بعض على أساس أحكامه، وتوجيهاته، ومبادئه، نعلم الحياة كلها على أساس توجيهاته، ومبادئه، ومنهجه وقيمه بشكل عام، هو دين كامل، هو دين لنا، نحن في أمس الحاجة إليه.

الله سبحانه وتعالى عندما شرع لنا هذا الدين؛ لأننا في أمس الحاجة إليه، إلى هذا الدين، حتى لو لم يكن وراءه جنة لكننا - كما هو معلوم عن البشر أنهم يحتاجون إلى نظم، يحتاجون إلى قوانين، يحتاجون إلى دساتير، يحتاجون إلى شيء ينظم حياتهم كأمة - لكننا محتاجين إليه حاجة ماسة حتى ولو لم يكن هناك وراءه جنة. أما وقد جعله سبحانه وتعالى أفضل نظام للحياة، أفضل نظام يسود المجتمع البشري، أفضل نظام يرفع حقوق الإنسان وكرامته، ومع ذلك تفضلاً منه سبحانه وتعالى يجعل من وراء تطبيقه والالتزام به والعمل به الثواب العظيم، الجزاء العظيم، الجنة، والقرب منه سبحانه وتعالى. هذه هي النعمة العظيمة.

نحن نجد في الدنيا عندما تعمل الحكومات قوانين، تعمل دساتير، أليسوا يفتخرون أننا أنجزنا إنجازات مهمة، وعملنا قوانين هي تساعد على الاستثمار الخارجي في داخل بلادنا، وعلى كذا وكذا؟ ولو أناتي إلى هذه القوانين وهذه الدساتير نجدتها تقف عند هذا الحد، هل وراء الدستور جنة، أو وراء القوانين الجنة، والقرب من الله سبحانه وتعالى، والرفق لديه؟ لا، قانون مرتبط بالدنيا فقط، ينتهي عند تطبيقه.

ومع ذلك تجد تلك الدساتير ناقصة، تبدو تلك القوانين ناقصة، يظهر فيها جهل الإنسان، وقصوره. لا يمكن لأي طرف أن يشرع للإنسان نظاماً للحياة إلا من يعلم السر في السموات والأرض، من هو محيط علمه بكل شيء، وهو الله سبحانه وتعالى. أمّا الإنسان مهما كان خالص النية، حسن النية، مخلصاً للناس، فإنه قاصر، هو ناقص، علمه محدود، إدراكه محدود، فهمه محدود؛ ولهذا نجد كم يعدّلون في القوانين، والدساتير! وكم يحولون، ويبدلون داخلها، بين حين وآخر نصوص بدلاً عن نصوص، فقرات بدلاً عن فقرات، وأحياناً قانون بأكمله يغير نسبة كبيرة منه!

الله سبحانه وتعالى عندما جعل هذا الدين كاملاً، هو وحده، وحده الذي يستطيع أن يضع ديناً كاملاً، يوفق بين ضبط التعامل، تعامل الإنسان مع الإنسان، وتعامله مع الحياة بصورة عامة، وفي نفس الوقت بناء روحه، زكاء نفسه، طهرها، سموها، تكاملها.

عندما أقرأ دستوراً من الدساتير، عندما أقرأ قانوناً من القوانين لا أجد فيه ما يجعل نفسي زاكية، ما يجعل نفسي طاهرة، ما يجعلني أحس أنني أتدرج في مدارج الكمال، لا يمكن أن يحصل هذا.

دين الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي هو على هذا النحو: يبني الإنسان من داخله، ويبني الحياة، يبني الأمة، تقوم عمارة الدنيا على أساسه، وتقوم عمارة النفوس على أساسه. لا أحد من المخلوقات كلها، لا ملائكة الله، ولا أنبياء الله، ولا أحد من أوليائه، ولا أحد من العباقر من خلقه يستطيع أن يشرع على هذا النحو؛

(١) أُلقيت هذه الكلمة بمدرسة أهل البيت، الرئيس - بني بحر - مديرية ساقين - محافظة صعدة.

ولهذا رد الله سبحانه وتعالى على من حاولوا أن يلصقوا بالقرآن الكريم تهمة أنه افتراه فقال: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (يونس: ٣٧).

هذا القرآن لا يمكن أن يأتي أحد بمثله: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: ٨٨) والقرآن كله من ألفه إلى يائه ما هو؟ هداية، يهدي للتي هي أقوم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩) هداية للبشرية جميعاً، في جميع مجالات الحياة، مهما تشعبت، مهما اتسعت، مهما اتسعت وتشعبت يبدو القرآن أوسع.

من الغريب عندما تسمع أحياناً عندما يقول لك بعض الناس: (هذا العصر اتسع، والشؤون اتسعت، لازم أن نحاول أن نؤقلم الدّين، يتكيف مع مظاهر هذا العصر، وإلا قد يتجاوزوه الزمن، تتجاوزوه الحياة، يتجاوزوه التطور) مهما تشعبت الحياة، مهما تقدّمت الحياة، مهما اتسعت عمارة الأرض، يظل الإسلام أوسع، ويظل القرآن أوسع وأشمل وأكمل، هذا شيء لا شك فيه. إنما الإنسان هو، المشكلة من داخله هو، أننا لم نستطع أن نفهم عظمة هذا الدّين، وأن نعرف كمال هذا الدّين؛ حتى ننشّد إليه أكثر، ونثق به أكثر، ونرتبط به، ونحرص عليه، ونعمل على رفع رايته، والجهاد من أجل إعلاء كلمته، والدفاع عنه.

عندما يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَ الْإِسْلَامَ﴾ التاء هنا هو ضمير يعود إلى الله، وهو الكامل المطلق، هو ذو الجلال والإكرام، هو الملك، هو القدوس، هو السلام، هو المهيمن، هو العزيز، هو الجبار، هو المتكبر، هو عالم الغيب والشهادة، هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، هو الرحمن، هو الرحيم، هو الحكيم، هو العليم، الكامل المطلق سبحانه وتعالى، عندما يقول هو: إنه أكمل شيئاً فإن هذا الشيء فعلاً يكون كاملاً، على أرقى ما يتصور الإنسان. هل يمكن أن يقدّم الله سبحانه وتعالى ديناً ناقصاً وهو الكامل؟! عندما يقول: إنني أكملت لكم هذا الدّين، فبقدر ما تعرف كمال الله سبحانه وتعالى فإن دينه انعكاس لكماله، كامل بكامل مشرّعه، كامل بكمال من هدى إليه ورسم منهجه.

مشكلتنا هي هذه: أننا لم نتعرف على الدّين، لم نفهمه بالشكل الصحيح، بل إننا تقريباً لا نهتم به كما نهتم بأي شيء من هامش حياتنا، فتبدو النظرة لدينا وكأن الدّين شيء وشؤون الحياة شيء آخر! وكأن ما يهمنا شيء وما يجب أن نتحرك فيه في هذه الدنيا شيء، والدّين شيء آخر. الدّين هو نظام لكل شيء، ليس هناك شيء ليس للدّين علاقة به، ليس للدّين وجهة نظر فيه، ليس للدّين موقف منه، كل تصرفاتنا مع بعضنا بعض، مع كل ما حولنا من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، كلها كلها لا تخرج عن أن يكون للدّين موقف فيها، كلمته فيها.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ لاحظوا هذه العبارات المهمة: كمال، وتمام، من الكامل المطلق سبحانه وتعالى هو أكمل، وهو أتمّ هذه النعمة، فلا يمكن أن تتصور أن هناك قصوراً في هذا الكامل، هذا الدّين الذي أكمله الله، ولا قصور في هذه النعمة التي أتمها الله سبحانه وتعالى، لماذا سماه نعمة؟ لأنه يعلم سبحانه وتعالى إذا كنا لا نعلم أننا في أمس الحاجة إلى دينه، وأن حياتنا لا تستقيم إلا على أساس دينه، وأن نجاتنا لا تتحقق إلا على أساس دينه.

فهو يعلم سبحانه وتعالى أنه قدّم لعباده نعمة عظيمة، وليس فقط أي نعمة من أطرف ما عنده، أو أي شيء وقعت يده عليه، تفضلوا، بل أتمها؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عندما يتحدث عن آياته إنه فصلها تفصيلاً، إنه تنزيل من حكيم عليم، من حكيم خبير ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفرقان: ٦) هكذا؛ ليقول لنا: هذا الشيء الذي قدمته لكم ليس على هذا النحو، لا تتصوروا أنه هكذا: قدمنا لكم أي حاجة.. الحاصل، مثلاً تقدّم لواحد أي شيء، تقول تفضل، الحاصل، من أي شيء لديك.

الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم إلى الدرجة التي قال فيه: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨) لو فكروا جميعاً أن يتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن - لو لم يكن من منطلق العداء والتحدي للقرآن، كقانون كما هو حاصل عند كثير من البشر، ينطلقون على أساس ليضعوا أفضل نظام للحياة - هؤلاء لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

ومن ينطلقون بروح العداء والتحدي للقرآن الكريم، هم أيضاً لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله. ماذا يعني هذا؟ أنه كامل، وأنه تام، وأنه نعمة عظيمة.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ارتضاه هو، وهو من هو سبحانه وتعالى! عندما نرجع إلى القرآن الكريم الله سبحانه وتعالى يُقدِّم نفسه لنا بأنه رحمن رحيم، هو الرحيم بنا، الذي هو عالم الغيب والشهادة، الذي هو حكيم، لا يمكن أن يرتضي لنا شيئاً إلا وهو على أرقى الدرجات التي نعتبر انعكاساً لرحمته العظيمة، مصداقاً لحكمته، ومصادقاً لرحمته سبحانه وتعالى.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) قد نكون نحن المسلمين من أجهل الناس بديننا، لكن الغريب في الموضوع أن أعدائنا هم من يفهمون عظمة ما لدينا من هذا الدين، يفهمون؛ لهذا تجد أنهم وهم أعداء لنا يتجهون إلى ضرب ديننا، أليس هذا ما نشاهده؟ حملات ضد القرآن الكريم، حملات تشويهية ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم) رسل ضد الإسلام بصورة عامة، عمل متواصل بكل الوسائل على إقصاء هذا الدين عن واقع الحياة، على الفصل بيننا وبينه.

كل الحرب القائمة ضدنا هي تتوجّه رأساً من جانبهم إلى الدين نفسه؛ لأنهم يعرفون لو اتجهوا إلى حربنا نحن كأشخاص، ولم يحاربوا ديننا فإنهم سيخسرون، لن ينتصروا إطلاقاً، وأن كل موقف مهما بدا من جانبهم قوياً وحاداً وجاداً سيكون الرد من جانبنا أكثر وأكثر، وسنستفيد من الصراع معهم أكثر وأكثر، إذا ما ظل ديننا سالماً لنا فلن نستطيعوا أبداً أن يقهرونا.

لو تلاحظون أن هذا الدين نفسه إذا ما ظل سليماً فإنه يستطيع أن يستفيد من أعدائه، أن يجعل من يلتزمون به يقهرون أعداءهم، ويستفيدون من الصراع مع أعدائهم! ألم يقل الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٣١) يبعث نبياً من الأنبياء، ثم يكون هناك أعداء! هذه الآية عجيبة، قد يتصور أي واحد منا أنه كان من المفترض أن تزيج كل الأعداء من أمام هذا النبي الذي بعثته؛ ليتمكن أن ينشر دعوته، فلا يواجه بصعوبات، فكيف قلت: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾؟ هل من أجل أن هذا العدو يقلق النبي ويزعجه؟! الله يجعل أنبياءه، الله سبحانه وتعالى يعظم أنبياءه، هل سيجعل عدواً يقلقه، ويزعجه، لمجرد الإقلاق والإزعاج؟ فماذا يعني هذا؟

نقول: إن هذا الدين لسموه، لكماله، هو يحمل نفحة من مشرعه الذي قال عن نفسه إنه غالب على أمره، هذا الدين كذلك إذا ما ظل سليماً لأمة تحمله فإنه سيكون غالباً لكل من يناوئه، يغلب كل من يناوئه.

من الذي يمكن أن يجعل هذا العدو مصدر قوة لهذا الدين، مصدر قوة لجلبه من يلتزمون بهذا الدين؟ هي الحكمة الإلهية، هي الحكمة الإلهية التي ربما أي شيء آخر قد يبدو ضعيفاً أمام العدو، وهذا الصراع الطبيعي، الصراع الطبيعي أن عدواً قد يقهر الطرف الآخر؛ لأنه برز أمامك عدواً أنت معرض لأن يقهرك مثلاً. لكن أما هذا الدين فهو يتحدى إلى الدرجة التي يقول فيه: إنه هو يجعل أعداء في مواجهة الأنبياء؛ لأن الأنبياء أنفسهم، وهم يبتغون هذا الدين، وكذلك من يسير على دربهم، وهم يتحركون في سبيل إعلاء كلمة هذا الدين، ونشره، والدفاع عنه، والدعوة إليه هم من سيستفيدون من الصراع؛ يصقل مواهبهم، ينمي قدراتهم، يتجلى لهم عظمة هذا الدين كلما دخلوا في الصراع أكثر فأكثر، وهذا من الأشياء العجيبة.

الناس الذين يصارعون من أجل هذا الدين تجدهم هم أكثر الناس فهماً لهذا الدين، وأكثر الناس معرفة بعظمة هذا الدين، وأكثر الناس إدراكاً لأهمية هذا الدين! من أين جاء هذا الشعور؟ من الصراع، كلما حصل صراع بدا الإسلام قوياً، كلما اكتشفوا جوانب مهمة فيه، كلما اكتشفوا طاقات هائلة داخله، اكتشفوا جوانب من عظمتهم غائبة عن الكثير ممن لا يصارع من أجله، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)؟ تنكشف لهم أشياء كثيرة، يتجلى القرآن لهم بشكل أكثر مما يتجلى لآخرين قاعدين في بيوتهم أو في زوايا مساجدهم ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

هذا ما يتميز به هذا الدين، وهذا ما يجعل الأعداء أنفسهم يعرفون عظمتهم فيتجهون أساساً لمحاولة ضربه هو، وهل سيضربونه هو؟ سيضربونه في أنفسنا، يضربونه في واقع حياتنا، عندما نكون بسهولة قابليين لأن نتخلى

عنه، نبتعد عنه، نبتعد من طريقهم وهم يتجهون إلينا، نفسح المجال لهم يفسدون كيفما يشاؤون، يعيشون في الأرض فساداً.

لهذا نلاحظ دائماً أنهم لو كانوا يعلمون أن هذا الدين ليست عزتنا متوقفة عليه، ولا قوتنا مرتبطة به، هو لا يمثل قوة لنا، وأنه لا يمثل عزة لنا، ولا علاقة له بوحدةنا، لما بذلوا دولاراً واحداً في سبيل محاربته، لا تجهوا إلينا شخصياً يحاربوننا بأي طريقة، تصفيات جسدية، محاربة شخصية هكذا، كما هو معروف في الصراع، لكنهم يعلمون على الرغم من أنهم يمتلكون أسلحة فتاكة، أسلحة متطورة، أن هذه الأسلحة لو توجهت إلى مسلمين ملتزمين بإسلامهم، يتحركون على أساس توجيهاته وهدية، فإنهم سيكونون مهزومين أمامهم، مهما كانت قوتهم. لذلك يسعون أولاً إلى نشر الفساد الأخلاقي، الفساد الثقافي، نشر ما يخلق فرقة في أوساط الناس، ما يبعدهم عن دينهم، ما يشككهم في مبادئه، ما يشككهم في كتابه، في نبيه، هكذا هكذا حتى يهيئونا لأن يضربونا بسهولة، ومتى ما ضربونا نكون قابلين لأن نهزم أمامهم؛ لهذا تجد أن الإسلام هو الدين الوحيد في هذه المعمورة الذي يحاربه الأعداء من اليهود والنصارى. هناك ديانات قائمة لماذا لا يحاربونها؟ وثنية لا تزال قائمة يشجعونها، البوذية لا تزال قائمة، ديانات أخرى لا تزال قائمة لا يوجهون حربهم إليها، بل يشجعون أصحابها على أن يبقوا على ما هم عليه، إلا الإسلام، إلا الإسلام.

ماذا يعني هذا؟ أنهم يشعرون بعظمته ربما أكثر مما نشعر نحن؛ لأنهم بعدائهم لنا دائماً التفكير، أن يتعرفوا على ما هو مصدر قوة لنا، مصدر عزة، مصدر أن نكون قادرين على أن نهيمن عليهم، على أن نقهرهم، على... إلخ، فوجدوا هذا الدين؛ ولهذا جاء تصريح قبل أسبوع من البيت الأبيض على موقع في الإنترنت: (أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين).

أليست هذه هي عبارة عداوة؟ في الوقت الذي هي عبارة تشهد بأن القرآن هو الذي يصنع رجالاً يقفون في مواجهتهم، عبارة يقولونها من أجل أن يمهّدوا لشريعة أن يضربوا القرآن، مدارس قرآنية، علماء قرآن، كل ما له علاقة بالقرآن، مناهج لا تزال فيها آيات قرآنية، تضرب كلها بحجة أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين، وفعلاً طلبوا من مصر تغيير آيات في المنهج الدراسي، ويعملون على أن يفرضوا على السعودية أن تغير المنهج الدراسي، وكذا الأردن. وهكذا يتجهون إلى بقية الدول العربية لتغير مناهجها التربوية، فتزجج ماذا؟ تزجج آيات من القرآن الكريم.

تجدد أنهم يفهمون أكثر مما نفهم! حربهم تتركز على شيء واحد بشكل مكثف، ومرکز ضد القرآن الكريم، وبعده شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي نفس الوقت اللغة العربية، هذه الثلاثة الأشياء التي يركزون على حربها: القرآن الكريم رقم واحد في الموضوع، لا يحاولون أن يحاربوا أشياء أخرى، مظاهر أخرى، مساجد كثيرة تبنى، أشياء كثيرة، علماء كثيرون مختلفون، يعتبرون هذا يساعد على الاختلاف، مذاهب متعددة. هل هم يقولون: هؤلاء المسلمين مذاهب كثيرة نحاول أن ننقصهم، ننقصهم حتى لا يعودون إلا مذهب واحد؟ هل عندهم الفكرة هذه؟ هم يرون بأن هذا يساعد أفضل تتوسع مذاهب، وعلماء كثير ينتشرون مختلفين، وتكون الساحة كلها ساحة قلقة.

لو أن القرآن الكريم، أو نقول: لو فهموا أن القرآن الكريم كتاب يمكن أن يخلق ماذا؟ آراء متعددة، أفكاراً متباينة، أقوالاً متضاربة، لما تعرضوا له إطلاقاً، هل تفهمون هذه؟ لما تعرضوا له. هم لا يتعرضون لكتب الحديث، تعرفون؟ لا يتعرضون لكتب الحديث، بل يخدمونها، يأتي مستشرقون يضعون فهارس للحديث، كتاب واحد يسهل لك الرجوع إلى أي حديث تبحث عنه، في أي من أمهات ومسانيد ومجاميع الحديث، يخدمونها خدمة. تعدد الطوائف يخدمها أيضاً! هم صنعوا طوائف إسلامية خلال المائة سنة الماضية، والمائتي سنة الماضية، صنعوا طوائف جديدة (الوهابية) (البهائية) (القاديانية) صنعوا هذه الطوائف كطوائف إسلامية.

لماذا يحاربون القرآن؟ لأنهم يعرفون أن القرآن الكريم هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، هو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تحارب، يجب أن تقصى، أن تعمم بدلاً منها اللغة الإنجليزية، أن نترك الشباب يشعرون بإعجاب، بعظمة، عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية. حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف: ٢) أكثر من ثلاث آيات تحدث الله عن القرآن أنه عربي، باللغة

العربية، بلسان العرب.

فنون أخرى لا يتعرضون لها، فنون أخرى مما يقطع الكثير منا أوقاتهم وهم منهمكون في دراستها لا يتعرضون لها، حتى وإن كانت باسم علوم إسلامية، حتى وإن قدّمت في أوساطنا بأنها من آليات فهم القرآن الكريم، من آليات استنباط الأحكام الشرعية، من آليات كذا، لا يتعرضون لها، يرون أنها تخدم القضية.

القرآن الكريم، وأكر؛ لأنهم يعلمون أنه كتاب يستطيع أن يصنع أمة واحدة، وأن من يلتفون حوله لن يفترقوا، لن يختلفوا، سيكونون كما قال الله: معتمدين بحبل واحد، عندما قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) رگزوا حربهم على القرآن الكريم.

هناك فنون أخرى - كما قلت - لا يتعرضون لها، يرونها أنها تساعد في خلق فرقة في أوساط الناس، وتعدّد في أقوالهم، واختلاف في وجهات أنظارهم، وتخلق لدى كل شخص منهم مشاعر انفرادية، استقلالية؛ فيظل وحده، يدور حول نفسه، لا يفكر في أن يذوب في الآخرين فيكون مجسداً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

حاولوا مع ذلك لَمَّا وجدوا أن هذه الفنون بعضها تخدم أهدافهم، تفرّق، تمزق الصف الواحد، أضافوا شيئاً آخر: حرية الرأي والرأي الآخر، حرية الاعتقاد، حرية الكلمة، حرية الصحافة، حرية، حرية! أليس هذا الذي نزل في الساحة؟ من أين جاء هذا؟ ألم يأت من عند الأمريكيين، من عند أعداء الإسلام والمسلمين؟ هل قدّموا هذا حرصاً منهم علينا، أو رحمة منهم بنا؟ هل هم يسهرون من أجلنا؟ لا، هم كانوا في الماضي يُعدّون هذه الأمة للحظة التي يمكن أن ينقضوا عليها.

وهو ما هو حاصل الآن، هو ما هو حاصل الآن، بعد أن قلنا: (اجتهادات، وترجيحات) قالوا: وسنزيد لكم، أنتم معكم من داخل المساجد هذه الفكرة، وأيضاً سنزيد لكم، لازم، (حرية الأحزاب، أحزاب متعددة، حرية الكلمة، حرية الرأي والرأي الآخر، حريات، حريات) وهم يعرفون أن النتيجة في الأخير ماذا؟ تفرّق، تفرّق، تجزؤ، حتى نصبح قطعاً، وفي الأخير يهاجمونا بمنطق واحد، بموقف واحد، ألم يحصل هذا؟ يعبر عنهم زعيم واحد (بوش) ويتحرك بموقف واحد، تحت اسم: (مكافحة إرهاب).

وهنا أفضّلوا كل هذه الأشياء التي كانوا يقولون لنا: حرية، وأشياء من هذه، ألم تقفل الآن؟ يقول زعماء العرب: (نريد أن نجتهد في تفسير كلمة (إرهاب)) ممنوع، أغلق باب الاجتهاد، أغلقوا باب الاجتهاد! رجال يعرفون كيف يشتغلون.

لا أعتقد أن هناك أغبى منا نحن العرب، نصدّق (حرية، حرية) وكل واحد ذهب وحده، اجتهاد، آراء، أقوال، أحزاب، كذا... إلخ، وفي الأخير يهجمون علينا، نرى أنفسنا في الأخير، ما الذي نحتاج إليه؟ ألسنا الآن نحتاج إلى الموقف الواحد في مواجهتهم، أو نحتاج إلى مزيد من الأحزاب، ومزيد من الاجتهادات، ومزيد من الرأي، والرأي الآخر؟ ما الذي نحتاج إليه؟ أيّ إنسان منا مهما كانت ثقافته محدودة يفهم أن الذي يحتاج إليه العرب الآن، يحتاج إليه المسلمون اليوم هو ماذا؟ موقف واحد في مواجهة أولئك، شخص واحد يقود هذه الأمة في مواجهة أولئك، كما ظهروا علينا برجل واحد، يُعبّر عن ذلك العالم الغربي ب كله، وموقف واحد، وتحرك واحد. أليس هذا الذي حصل؟

نحن في أمس الحاجة إلى شخص واحد يمثل هذه الأمة، يقول (بوش): لا. هل هناك أحد في العالم العربي؟ لا، لا يوجد أحد، لا يوجد رجل واحد، بل زعماء متعددون، دول متعددة، وداخل كل دولة آراء متعددة، وأفكار متعددة، إلى آخر القائمة، بالسكين يقطعوننا قطعاً قطعاً إلى آخر قطعة، فنبدو قطعاً مبعثرة، متناثرة.

ألسنا بحاجة إلى موقف واحد في مواجهة ما ظهروا علينا به تحت عنوان (مكافحة الإرهاب)؟ هل تسمعون هذا الكلام (مكافحة الإرهاب)؟ ألسنا بحاجة إلى موقف واحد يمثل الأمة في مواجهة هذا؟ هذا معدوم. أليس معدوماً؟ رجل واحد معدوم، موقف واحد منعدم، ماذا نحتاج إليه؟ نحتاج إلى الشيء الذي فقدناه تماماً.

لماذا هم في الأخير، وهم من كانوا في الماضي يسمون أنفسهم: رعاة الديمقراطية، حماة الديمقراطية، دعاة الديمقراطية، والحرية، وحقوق الإنسان؟ أليس هذا شيئاً معروفاً؟ لماذا هم تنكروا للديمقراطية؟ في الأخير تنكروا لها، كانت عنوان من أجل أن يبعثونا، داخل الديمقراطية أحزاب متعددة، متباينة، حزبية مفتوحة، كل

١٥ أو ٢٠ يتحزبون وحدهم مقبول، والصحف تشتغل، والرأي والرأي الآخر، وهكذا إلى آخر القائمة. ثم في اللحظة الأخيرة التي يريدون أن يهيمنوا على هذا العالم بأكمله، وبعد أن آمنوا بأنه ليس هناك موقف واحد أمامهم، ليس هناك موقف واحد من داخل هذه الأمة، وليس هناك رجل واحد يقود هذه الأمة، فيقف أمامهم؛ عرفوا أن هذه هي اللحظة، هي الفرصة السانحة التي ينتفضون فيها علينا، فيهيمنون هيمنة مطلقة.

ألسنا نسمع أن زعماء العرب يحاولون أن تسمح لهم أمريكا أن يجتهدوا مرة في تفسير (الإرهاب) ما هو الإرهاب الذي يجب أن نقف مع أمريكا في محاربته؟ لم يسمحوا لهم أن يقدموا تعريفاً للإرهاب أبداً، ولم يعودوا يجروون على أن يجتمعوا فيعقدوا اجتماعاً، أو على أن يتبنوا موقفاً واحداً.

كل هذا فقدناه؛ لأننا مشينا وراءهم، لم نمشي وراء ديننا هذا الذي أكمله الله لنا، الذي أتمه لنا، الذي رضي به لنا سبحانه وتعالى، هذه النزعة لا تزال قائمة ربما في نفوس طلاب علم يأتي من يقول له: (يا أخي أنت لك آراؤك، وحريرتك، والمفروض أن تكون كذا، وتمشي على ما طلع في نظرك، و... إلخ) أنا أفكر هكذا، وزميلي يفكر هكذا، وآخر هكذا، وكل واحد يقول هكذا: (هذا هو المطلوب، هذا هو المشروع، وهذا هو المفروض) نحن بعد لم نفهم أين وصلنا، ونحن بعد لم نفهم ما يدور حولنا، ونحن بعد لم نفهم ما يراد لنا من جانب أعدائنا.

لهذا نقول: إنما يجب أن نسير عليه هو أن نسير من أجل أن نتشف أنفسنا ثقافة قرآنية، كل مراكزنا، كل خطاباتنا، كل توجيهنا، كل أعمالنا تدور حول أن نتشف ثقافة قرآنية. لن يحمينا من أعدائنا إلا العودة إلى القرآن الكريم، لن يبق العلاقة قائمة بيننا وبين ديننا إلا القرآن الكريم، لا يمكن أن يدفع عنا أيضاً إلا القرآن الكريم إذا ما عدنا إليه.

ذلك الكتاب الذي يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) هذه الكلمة هل هي تساوي كلمة (كل واحد يمشي على رأيه واجتهاده ونظره)؟ هل هي سواء مثل كلمة (الرأي والرأي الآخر)؟ هل هي سواء؟! ليست سواء، كلمة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ تختلف اختلافاً كبيراً عن كلمة (حرية الرأي والرأي الآخر) عن كلمة (حرية الاجتهاد) تختلف اختلافاً كبيراً. تلك تبني أمة وتوحدها، وهذه تمزق أمة وتشتت صفها.

نحن في وضعيتنا هذه - وهذا هو السؤال الأول، وكل واحد سيعرف الإجابة تقريباً - إلى أي شيء نحن محتاجون؟ هل إلى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أو إلى العناوين الأخرى: (حرية الاجتهاد، وحرية الرأي والرأي الآخر، وحرية التحزب)؟ ما الذي يمكن أن يجعلنا أقوى في مواجهة أعدائنا؟ هل أن نكون على النحو الأول: معتصمين بحبل الله جميعاً، غير متفرقين، أم أن نكون فرقة، آراء متباينة، فرقة متعددة، أفكاراً متعددة؟ كل واحد يعرف، بل كل واحد من الناس، حتى نعرف أننا أحياناً نرضى لديننا بالشئ الذي لا نرضاه لقبيلتنا، أي شيخ في القبيلة، أي إنسان عاقل في قبيلة يقول للقبيلة: (المجال مفتوح، الرأي والرأي الآخر، وحرية الأشوار، وكل واحد يمشي على ما طلع في رأسه)؟!!

هل هذا مسموح؟ أو أن الناس دائماً يقولون: "ما جهدنا نكون رجال إلا إذا كلمتنا واحدة" (١) أليس الناس هكذا يقولون؟ "إذا ما كلمتنا واحدة، إذا ما معنا شور واحد، إذا ما انطلقنا انطلاقاً واحدة ما احنا معتزين في موقف، ولا احنا واقفين موقف يشرف" (٢) ما هكذا منطلق الناس؟ متى ما أحس عقاب القبيلة أن هناك من يقدمون في القبيلة أشوار متعددة، يأتي "ميعاد" (٣) وكل واحد طلع بشوره من هناك، كل واحد مصمم على رأيه، وكل كذا. ماذا سيقولون في الأخير؟ سيقولون: "ما احنا ناجحين أبداً، واحنا كل واحد شوره من قرنه، احنا معنا شيخ احنا معنا كبير، احنا معنا كذا.. ولازم تجتمع كلمتنا" (٤).

وقواعد القبيلة كلها اقرؤوا قواعد القبيلة، أليست على هذا الأساس: (كلمتنا واحدة، رياننا واحد، موقفنا واحد، وكذا كذا... إلخ)؟ ويجعلون لهم شيخاً واحداً، يقولون: "أما وقد كل واحد شيخ نفسه فنحن سنضيع".

(١) ما جَهِدنا: من اللهجة العامية، وتعني: لا نستطيع.

(٢) ما بين الأقواس من اللهجة العامية: (إذا ما كلمتنا): إذا لم تكن كلمتنا. (شور): رأي. (إذا ما انطلقنا): إذا لم نطلق. (ما احنا معتزين): لن نعتز.

(٣) ميعاد: موعد اجتماع أفراد القبيلة.

(٤) شوره من قرنه: من اللهجة العامية، وتعني: رأيه مبني على هواه.

هكذا منطق الناس، لكن أمّا في الدّين نقول: لا، الدّين قال لنا كذا وكذا! الآخرون قالوا: (وتفضلوا أيضاً سنريد لكم، وسنعطيكم حرية تحزب، تحزبوا، كل واحد يتحزب من عنده، وأيضاً سنعطيك حرية الرأي والرأي الآخر، وحرية الاعتقاد، حرية كذا، حريات، حريات... إلخ) وهي عبودية في الأخير. ماذا يعني؟ أليس العرب الآن في مقام العبودية أمام الآخرين: مهوورين، مستذلين، مستعبدين؟ أليس هذا هو الواقع؟ هل نفعتنا عناوين الحرية هذه؟ هل نفعتنا؟ عندما ضيعنا الاعتصام بحبل الله جميعاً لم تنفعنا العناوين التي قدمناها نحن من خلال فنون مُعيّنة، وأضاف وباركها الأعداء أيضاً بأساليب أخرى.

هل تحقق لنا حرية أو تحقق ماذا؟ عبودية، هل تحقق لنا عزة أو تحقق لنا ذلة؟ هل رفعة أم ضعة؟ هل فلاح ونجاح أم خسارة وضياح؟ هذا شيء معروف. إلا إذا كان لا أحد منكم مثلاً يعرف ما يدور في هذا العالم الآن، ولا يفهم ما يراد للمسلمين اليوم.

يجب أن نعود إلى القرآن الكريم، وأن نتفهم عظمة هذا الدّين، وأن نتفهم حاجتنا إلى هذا الدّين، نحن محتاجون إليه أكثر من حاجته إلى أن ندافع عنه. نحن محتاجون إليه لدرجة أن الله سبحانه وتعالى جعل الجهاد في سبيله ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصفا: ١١) ألم يقل هكذا؟ إنه حتى الجهاد الذي تبذرون فيه وكأنك مدافع عن دينك، يقول: هو في الأخير كله خير لك إن كنت تعلم ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

هذه هي مقدمة؛ لنفهم منها ضرورة العودة إلى ثقافة قرآنية تصنع أمة واحدة، وموقفاً واحداً، ومنهجاً واحداً، واتجهاً واحداً. هذا هو ما نحتاج إليه في مواجهة أعدائنا، وإلا فسنكون خاسرين في دنيانا، أعداؤنا يتغلبون علينا، يهيمنون علينا، ينتهبون ثرواتنا، يغلقون مدارسنا، يهينوننا ويذلوننا بأقصى ما يمكن أن يعملوه، على أقصى ما يمكن أن يعملوه ضد عدوه؛ لأن أولئك هم أعداء. قال الله عنهم وهو يذكر في القرآن الكريم عند قوله: ﴿هَآ أَنتُمْ أَوْلَىٰ بِحُبِّثُمْ وَلَا يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّوكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي وَآدَا تَقُولُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا عَصَاؤُهُمْ عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران: ١١٩). ماذا يمكن أن يصنع بك العدو الذي يعرض على أنامله من الغيظ عليك؟ هذا حديث عن أهل الكتاب، عن اليهود والنصارى، لا يمكن أن ينجينا من الإهانة، من الذل، من القهر، من الضعة التي قد تتعرض لها أكثر مما قد حصل إلا العودة إلى القرآن الكريم، والاعتصام بحبل الله جميعاً ﴿وَلَا تَقْرَفُوا﴾ كما قال الله سبحانه وتعالى. إنما أريد أن يكون عبارة عن مقدمة للحديث.

قد تكلمنا في فترة العصر حول أهمية أن يكون الإنسان مساهماً في أيّ مجال يكون فيه إعلاء لكلمة الله، نشر لدين الله، مركز يُبنى، توسيع مركز، أشياء من هذه، تكلمنا عنها.

نحن نريد أن نتحدث معكم، ولا نريد أن يكون الكلام دائماً نستبد به، نريد أن نسمع منكم، أن نعرف هل لدى الناس قناعة أن تكون كلمتهم واحدة؟ هل نحن نفهم أن ديننا يقول: لا يتحقق إيماننا، لا يتحقق لنا على صعيد الواقع الإيمان، لا يتحقق إيمان إلا إذا تحققت لنا وحدة، إلا إذا كنا هكذا: بعضنا أولياء بعض، إلا إذا كنا إخوة، بغض النظر حتى لو لم يكن هناك عدو، إنه لا يتحقق الإيمان لأمة متفرقة، لا تسمى مؤمنة، لأناس متباينين لا يسمون مؤمنين.

من مصاديق الإيمان المهمة، والعظيمة: وحدة الكلمة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١) ماذا يعني أولياء بعض؟ صف واحد، موقف واحد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (العنبر: ١٠) عبارة واضحة، أخوة إيمانية، هي أقوى وأمتن من أخوة النسب، من أخوة الرحمة، من أخوة القبيلة، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

نحن بحاجة إلى أن نتوحد حتى يكون إيماننا صادقا ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) أليس هذا حديثاً نردده؟ طيب: عندما نجلس في مراكز كهذه، ونحن نتعلم، نتعلم دين الله أليس كذلك؟ ثم لا نفهم أن دين الله لا يتحقق لنا فيقال: نحن قد أصبحنا ملتزمين به، نحن أصبحنا نستحق أن نحمل اسم إيمان ونحن بعد لا نعطي هذه المبادئ أهمية: وحدة الكلمة، الموالاة فيما بين المؤمنين، الأخوة. فلا يُعتبر كل عملنا هذا يمكن أن يحقق لنا إيماناً ونحن بعد لم نقتنع بضرورة أن نصل إلى هذه الدرجة: أمة واحدة، أخوة إيمانية، بعضهم أولياء بعض.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه رضاه، ونواصل الحديث معكم بطريقة مفتوحة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

المراكز الصيفية هي مدارس علمية، مدارس دينية، قد تتعرض لحالة من عدم التفاعل معها من قبل الناس - مثلاً - بالشكل المطلوب، بل ربما قد يكون حتى من بعض العاملين، ومن بعض الطلاب الذين يدرسون فيها، كل هذا يعود إلى ما كنا نتحدث عنه، ليس هناك شعور بأهمية القضية هذه، بأهمية الدّين، بعظمة الدّين، بنعمة الدّين، بجاذبية الدّين، بجاعتنا الماسّة إلى الدّين في الدنيا والآخرة، فكل عمل ديني لا يكون هناك اهتمام كبير به عند كثير من الناس، هذا الشيء ملحوظ.

الشيء الثاني: قد يحصل أحياناً في المنهجية نفسها، إذا لم نطلق انطلاقة قرآنية فسنغلط في كل شيء، سنغلط في كل شيء. ولا حظوا الآن وزارة التربية والتعليم، والحكومة بكلها فيما يتعلق بالمناهج الدراسية، أربعين سنة ما قد استقر المنهج الدراسي، أربعين سنة! مازال الآن منهجاً تجريبياً، مازال - الآن - هذا المنهج تجريبياً هكذا يقولون عنه الآن، ولا يزال هناك أفكار، لا يزالون يريدون أن يحاولوا أن يجربوا بعد!

هكذا، هكذا إذا انطلق الإنسان هو دون أن يهتدي بالله سبحانه وتعالى، ويهدي الله فسيغلط، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية، الفكرية، القانونية، الأشياء التي تنتهي في الأخير إلى نُظم في الحياة، أو توجهات لدى الإنسان في هذه الحياة، وحتى في المراكز، وحتى لو قلنا نحن: نتعبد لله سبحانه وتعالى بالعمل فيها، ونريد أن نسهر من أجل أن نعمل منهجاً دراسياً فيها، كأننا من تكون أنت، ولتكن عبقريتك كيفما كانت، وليكن إخلاصك كيفما كان، ولتكن حسن نيتك كيفما كانت، ستغلط إذا لم تعتمد القرآن الكريم، إذا لم تعرف القرآن الكريم أن له منهجاً تربوياً متكامل، لديه مناهج متعددة، لديه مقاصد مهمة.

في الماضي كنا نسمع في بعض المراكز هنا إذا قلنا: لازم يكون هناك اهتمام بالقرآن الكريم، قالوا: (عندنا زحمة برامج) زحمة البرامج على حساب القرآن الكريم! يعني: هذا فشل لا شك فيه، ((ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)) كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يتحدث عن القرآن: ((ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)) سيضل ولو بحسن نية، ولو بإخلاص. قضية حسن النية ليست تعصم عن الوقوع في الغلط، عن الوقوع في الخطأ.

بالأمس تحدثنا حول هذه النقطة: كيف أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ (هود: ١١٣، ١١٤) يقول لنبيه الذي اصطفاه وأكملاه: استقم، ومن تاب معك. قد يقول واحد منا لآخر: (استقم يا أخي أنت والسفهاء الذين معك، استقيموا، واسبروا، وامشوا مشية الناس) أليس الله يقول لنبيه: أنت ومن تاب معك، مع الناس الطيبين، الجيدين، استقيموا؟ ما معنى استقيموا؟ هل هم فسول، أو هم يلاحقون السفهاء، أو يسيرون مع السيئين؟^(١) استقم كما أمرت على المنهج الذي تؤمّر به، طبق حرفياً، والتزم حرفياً، لا تتجاوز ولا ستغلط.

عندما يقول له: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أليس الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أشد الناس عداوة للظالمين، وأشد وأعظم الناس كراهية للظلم والظلمين؟ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ لأن كل هذا ممكن أن يحصل مع حسن النية، وبسبب حسن النية، هل تعرفون هذه؟

إذا ما انطلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: عندما يقف الواحد موقفاً يبدو متشددًا، فيمكن أن يكون الآخرون هناك متشددين، نحاول أن يكون عندنا مرونة قليلاً، نحاول حواراً، نحاول أن نتنازل عن بعض أشياء، وهم يتنازلون عن بعض أشياء، ونلتقي في الوسط، وتكون الساحة هادئة، ونكون متأقلمين مع بعضنا بعض. هذه الأفكار تحصل الآن داخلنا نحن في الهيئة الإدارية للمراكز الصيفية، يقول البعض: (نحاول أن نقرب من الحزب الفلاني، نقرب من الدولة الفلانية، من أجل أن يزيدوا لنا دعماً، من أجل كذا، من أجل كذا، نحاول أن نسكت عن بعض أشياء، نتنازل عن أشياء، نقف مواقف معهم في كذا أشياء... إلخ) بماذا؟ بحسن نية، (من أجل أنه نحاول أيضاً أن يساعدونا، ويدعموا مراكزنا، ويحصل لنا مدري ماذا؟ ونستطيع أن نبني، ونستطيع أن نمول،

(١) فُسُول: مفرد فُسْل: وهو الرُّذْل النذل الذي لا مروءة له.

ونستطيع أن يكون عملنا هذا كبيراً! هكذا قد يقع الإنسان في الغلط مع حسن النية.

لا يمكن لرسول الله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) أن يميل إلى الظالمين. هكذا: هواية، أو عصباناً، أو عدم اهتمام - أن يميل إلى الظالمين. ألم يقل الله: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؟ لكن قد يركن الإنسان إلى ظالم، عندما ينطلق من حسن نية، وإخلاص للعمل الذي هو فيه أيضاً، للعمل الذي هو فيه، فيقول - كما قلت سابقاً - عندما نكون متشددين، وأولئك متشددين، نحاول قليلاً أن نقرب من بعضنا بعض، ونميل إليهم قليلاً، ونتأقلم معهم قليلاً! لو فكر رسول الله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) هذا التفكير لكان قد مال إلى الظالمين، أليس كذلك؟

هل يمكن أن يميل رسول الله إلى الظالمين لأنه من أجل مصلحة شخصية؟ لا، أو من أجل أنه لا يبالي بقضية الظلم، ولا يكره الظلم؟ لا؛ لنفهم أن حسن النية أيضاً، أن الإخلاص أيضاً، كل شيء لا يعصمك عن الوقوع في الخطأ إذا لم تنطلق انطلاقاً قرآنية، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تعمل منهجاً لهذه المراكز، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تتشف الناس في هذه المراكز، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تخاطب الناس في مساجدهم، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تكتب، وأنت تحقق، وأنت تسجل، وأنت، وأنت، ستضل، ستغلط.

والغلط في هذا المجال لا يغتفر، الغلط في هذا المجال تبرز آثاره السيئة؛ لهذا ظهر في الأخير نوع ارتباك في المراكز، أو في بعض المراكز، وحصل اختلاف في وجهات النظر، وتعدد في الأقوال، والآراء. ناس يريد أن يفتح كذاك، وعنده^(١) أن هذه هي الطريقة الصحيحة (نتأقلم مع العصر)؛ هو لا يفهم العصر، العصر إذا أنت تريد أن أنتأقلم مع هذا العصر، منطق العصر هذا هو منطق القوة. كن قوياً، ابن أمة قوية، هو عصر التكتلات في جانب الأعداء لضربنا.

الرئيس الأمريكي، وزير الخارجية الأمريكي، نائب الرئيس الأمريكي، يتحركون، لا يأتي مؤتمر في شرق آسيا، وفي جنوب آسيا، إلا ويهاجمونه، نريد أن توقعوا لنا على هذه الورقة، نكافح الإرهاب، قالوا: معك. يأتي مؤتمر في أي بلد، وراح إليه! يلحقون حتى ليبييا التي هم حتى معادين لها زمان! خلاص نتسامح، نريد فقط أن نوافقي معنا على مكافحة الإرهاب.

التكتلات، القوى، الموقف الواحد، الخطة الواحدة. هذا هو منطق العصر. هل نظن أن منطق العصر هو الرأي والرأي الآخر؟ والأشياء هذه، الحريات، والانفتاحات، وأشياء من هذه. العصر عندما يقولون: العصر، والحضارة، أسنا نصرف أذهاننا إلى الغرب، إلى بلدان أوروبا، وأمريكا، وتلك الجهات، منطقهم اليوم هو منطق الكلمة الواحدة، الموقف الواحد، التكتل لضرب المسلمين، وأنت مسلم.

هل تريد أن تتعامل مع هذا العصر؟ هل تريد أن تتصرف بمنطق العصر؟ ابن نفسك، ابنوا أمة واحدة، كتلة واحدة، موقفاً واحداً. هذا منطق العصر، سيتفرق أي ناس، في أي مركز، أو معلمون، أو طلاب، إذا لم ينطلقوا انطلاقاً قرآنية، ويتحركون وكل واحد همه نفسه، يظن أن الله ما جاء بالإسلام كله إلا من أجله ليحقق له طموحاته "يطنن"^(٢) كيفما يريد، وينطلق كيفما يريد، ويمشي كيفما يريد "ولا هو بعد أحد"^(٣).

[لماذا لا تتأسى] بنبي الله، فما رأيت الله سمح به لنبيه فلا تتجاوز له نفسك. أليس هذا قد أصبح أقل شيء؟ لا، البعض يريد أن يكون من رسول الله وكذاك! هل هذا لا يزال منطقاً معقولاً؟ هل هذا موقف مقبول؟ لا. الله قال لنبيه ﷺ (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي ينزل عليه الوحي مباشرة، جبريل ينزل، مع هذا ماذا قال له؟ سرد له قائمة من الأنبياء ثم قال له بعد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدِهِ﴾ (الأنعام: ٩٠) امشي على طريقهم، امشي وراءهم، اعتبر نفسك واحداً من هذه السلسلة، تمشي في هذا الاتجاه، وتمشي وراء هؤلاء.

طيب، لماذا تقول لي هكذا وأنا ما بيني وبينك إلا جبريل؟ وهذا هو الواقع. هل كان بين الله وبين رسوله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) جبريل وهو ينزل عليه الوحي إلا جبريل؟ فيما نعلم، إلا جبريل، ومع هذا ما قال رسول الله: كيف تريد مني أولاً أن أمشي وراء هؤلاء إلى هناك، وأعتبر نفسي تابعاً لأولئك، وقد هذا ما بيني وبينك إلا جبريل؟ هذه السنة الإلهية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدِهِ﴾.

(١) وعنده، تعني: ويتصور أو يظن.

(٢) يطنن: من اللهجة العامية، والتطائين هي الأفكار والهواجس والظنون.

(٣) ولا هو بعد أحد: ولا يتبع أحداً.

الآن تقوم تربية في بعض المناطق، في بعض المراكز، توجيهات لبعض الشباب أنه ولا حتى ما أوجب الله على رسوله أن يمشي عليه، لا يمشي وراء أحد، ولا يتبع أحداً، ولا ينطلق وراء أحد إطلاقاً! هو فقط، وما طلع في رأسه، ما وصل إليه اجتهد به يجب على الله أن يقبله! هذا هو المنطق، يجب على الله أن يقبله. منطق: (كل مجتهد مصيب) هذا المنطق يقضي بأن الباري ما معه إلا هذا الذي يطلع في رأسي يقبله، أتعبده به، وقد قالوا هكذا، وقالوا: إن مراد الله تابع لمراد المجتهد، عليه أن يقبل ما أدت إليه أنظارنا! لماذا يا جماعة؟ قالوا: (ما معه إلا هكذا)! يا جماعة الله قدّم لرسوله قائمة وقال له: امشي وراءهم، وهو في نفس الوقت يوحى إليه مباشرة بواسطة ملك من ملائكته.

هذا المنطق هو الذي سيفرق الأسرة الواحدة، خلّ عنك القبيلة الواحدة. لو ينشأ الطلاب في قبيلة واحدة على هذا النحو لمّا بقي لا دين ولا حتى قبيلة، أتحدى، طلاب ينشؤون على هذا الروحية أن يبقوا قبائل، تجتمع كلمتهم على موقف يشرفهم كقبيلة واحدة، لا يجتمع لهم رأي، بل يطلعون كلهم، كل واحد رأيه من قرنه، لا يجتمع لهم شور، وكل واحد عنده أن ما طلع في رأسه هو الصواب! فلا يجتمع للناس شور، لا في قبيلة، ولا في دين. أليس كل الناس يفهمون الآن أمام العدو أنهم بحاجة إلى موقف واحد، إلى رأي واحد، إلى كلمة واحدة؟ كلهم يقولون هذا.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: هل هناك فرق بين التشيع والتبعية؟ وهل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي وماذا يعني اتّماؤنا إلى العلماء؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]
قاعدة عامة يجب أن تفهموها إذا لم تصح معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالى فستظل الإشكالات دائماً تتابعه، مشاكل دائماً، لو يقرأ ثمانين سنة، افهموا هذه: لو يجلس يقرأ ثمانين سنة، تبقى معه إشكاليات، تتعمر عمره، ما يتخلّى منها، ولا يتخلص منها.

إذا صحت لنا معرفة الله سبحانه وتعالى فسيصح لنا كل المعارف الأخرى، مثلاً إذا كنا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو إلهنا، وملكنّا، ألسنا نؤمن بهذا؟ ونحن نؤمن في المقابل أننا ماذا؟ عبيد الله، أليس هذا هو الذي نؤمن به؟

طيّب، نقف عند هذا، ونتفهم المسألة جيداً، مادام الله هو ملكنا، وإلهنا، ونحن عبيده، هو ملك السموات والأرض، ونحن عبيده، مملوكون له، ماذا يعني؟ أليس هذا يعني أنه يجب أن نسلم أنفسنا له، أن نعبد أنفسنا له، أن نقبل ما يهدينا إليه، ما يوجهنا إليه، ما يرشدنا إليه، ما يأمرنا به، ما ينهانا عنه؟ أليس هذا هو منطق العبودية لله سبحانه وتعالى؟ هذا هو منطق العبودية لله.

فمتى ما آمنت بالله على هذا النحو، وعبدت نفسي لله، واقرأوا القرآن الكريم كيف يرسّخ هذا المفهوم عند الناس، حتى عند أنبيائه، أن عليهم أن يستشعروا أنهم عبيد لله، ونحن نقول، نشهد بعبودية رسول الله أكثر مما نشهد بعبودية أنفسنا لله، نصلي كل يوم عدة مرات، ونقول في تشهدنا: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ألم يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نشهد بعبوديته لله؟ وتنسى أنت عبوديتك لله! رسول الله يقول لك: أشهد كل يوم بأني عبد لله، ثم أنا يجب أن أفهم بعد عندما لا بد أن أشهد أن محمداً عبد لله سبحانه وتعالى إذاً فأنا من أنا بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل يمكن أن أستنكف عن عبادة الله؟ هل يمكن أن أرى نفسي فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أعلى منه؟ لا.

في الوقت الذي أنت تشهد أن محمداً عبد لله يجب أن تفهم أنك بالأولى أن تكون عبداً لله، فلا تستنكف عن عبوديته. ماذا يعني أنني عبد لله؟ ما يأتي من جانب الله يجب أن أقبّله؛ لأنني عبد لمن؟ عبد لرحمن رحيم، عبد لحكيم عليم، لست عبداً لطاغية، لست عبداً لجبار من جبابرة الأرض، يأمر، وينهى، ولا يفكر في من يأمرهم وينهاهم. أما الله سبحانه وتعالى فهو عندما يقول لي: انطلق على هذا الأساس، تقبل هذا الشيء، سر على هذا النحو، فإنه هو الذي يعلم المصلحة لي، ولجميع البشر من حولي، وأنا من يجب أن أفهم أنني عبد له فأقبل منه ذلك، وإذا لم نرسخ في أنفسنا العبودية لله سبحانه وتعالى فسنكون ممن قال الله عنهم: يستنكفون عن عبادته ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: ١٧٢) ولا الملائكة المقربون لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له.

ما معنى لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له؟ متى ما أمرهم بشيء فسينفذونه، عندما قال الله سبحانه وتعالى للملائكة أن يسجدوا لآدم، ألم يسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس؟ ألم يحصل هذا؟ لماذا؟ لأن الملائكة يعيشون هذا الشعور: بأنهم عبيد لله، فهم لا يستنكفون عن قبول أي أمر يأمرهم به، وسيستلمون لله، ويعملونه بطيبة نفس ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا ابْنُ سَاطَانَ ابْنِ آدَمَ﴾ (البقرة: ٣٤) ما الذي دفع الملائكة؟ عبوديتهم لله، ما الذي جعل إبليس يرفض السجود لآدم؟ ما الذي جعله؟ هو أنفته، وكبرياؤه، أي: هو لم يعبد نفسه لله، هو لم يكن صادقاً في عبوديته لله، فأدى به ذلك إلى أن يصبح ماذا؟ ملعوناً مدحوراً مذموماً إلى آخر أيام الدنيا، بهتف البشر بلعنه.

أهم نقطة أن نفهم أن علينا أن نعبّد أنفسنا لله سبحانه وتعالى، ثم آتي بعد وأنا أنظر إلى الأشياء، أنظر إلى سنة الله سبحانه وتعالى في هداية عباده، سنة الله في تشريعه لعباده سبحانه وتعالى، أنظر إليها من منظار أنني عبد لله كيف سنته، كيف سارت سنته في خلقه، فأقبلها بسهولة. من هذا المنطلق أرجع إلى القرآن الكريم، كيف خاطب الله في القرآن الكريم رسوله محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي أمرنا أن نشهد كل يوم عدة مرات أنه عبد لله، ألم يقل له: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (الأنعام: ١٠٦)؟ ألم يقل هو: ﴿إِنْ تَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؟ هذا بالنسبة للنبي مع الله.

بالنسبة للناس في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله عليه وسلم) والقرآن ينزل بلغتهم، ماذا قال لهم؟ ألم يأمرهم بأن يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله عليه وسلم) أن يتبعوه؟ أليس هذا هو منطق القرآن؟ بعد ثلاث وعشرين سنة من العمل من جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله عليه وسلم) مع أولئك الناس، بعد ثلاث وعشرين سنة من العمل، وبعضهم قد افترق خمس عشرة سنة، أو عشر سنين على اختلاف فوارق إسلام بعض الناس عن بعض، وبعد ذلك كله هل قال لهم: "كل واحد أما الآن قد هو رجّال، وقد لي مدرّس لكم ثلاثة وعشرين سنة، وكل واحد قد هو فاهم، وخاطركم، كل واحد يمشى على ما طلع عنده، وما رآه أنه الحق يمشى عليه"؟ هل قال لهم هكذا؟

ارجعوا إلى كتب الحديث حتى نفهم هل قال للناس هكذا أم قال لهم ماذا؟ أمرهم بأن يتمسكوا بالإمام علي، في يوم الغدير، في إعلان عام، أبدى فيه كل ما يمكن من وسائل التبليغ، أظهر فيه كل ما يمكن أن يكشف عن أهمية قضية يبلغها، عندما قال للناس: ((أيها الناس أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)).

الله سبحانه وتعالى قال لرسوله: ﴿التَّبَيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦). إذا أمر يجب عليهم أن يطيعوه، إذا هداهم إلى شيء يجب عليهم أن يتقبلوه، إذا نهاهم عن شيء يجب عليهم أن يرفضوا هذا الشيء الذي نهاهم عنه، ثم يقول نفس الشيء في الإمام علي، يقول لأولئك الناس الذين عمل معهم سنين طويلة: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)).

ويقول لهم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) حديث الثقلين لا شك في صحته، لا أحد يدفعه من المحدثين إطلاقاً، وهو حجة من الحجج القائمة على الناس. لماذا يأمرهم بالتمسك بالعترة مع القرآن الكريم؟ لماذا لم نسمع منه أن يقول لهم: "خاطركم أما الآن قد انتورجال، وقد لنا مدرسين لكم ثلاثة وعشرين سنة، قد انتوا رجال، وكل واحد يمشي على ما طلع في رأسه، وكل واحد ما رآه أنه الصواب مشى عليه" هل حصل هذا؟ لا، بل أمرهم أن يسيروا وراء الإمام علي، أمرهم أن يتبعوا الإمام علياً، أمرهم أن يتمسكوا بعترة كتمسكهم بالقرآن الكريم.

هذا ما حصل، فيما يتعلق برسول الله مع الله، فيما يتعلق بالناس مع رسول الله، وفي توجيه الرسول للناس من بعده، عندما يغادر الدنيا، ما هذا؟ ماذا يسمى؟ هل يسمى اجتهداً أو يسمى تقليداً أو يسمى ماذا؟ ماذا يسمى؟ (اتباع) ثقافة الإسلام للناس أن يتبعوا كتبه، وأنبياءه، أن يتبعوا كتب الله، وورثة أنبيائه، أعلام دينه.

هذه هي تربية القرآن الكريم، ولا أستطيع أن أقول إن هناك شيئاً آخر إطلاقاً؛ لأجل أن نكون مرنيين أو منفتحين مع آخرين، أنا أجزم بهذه: أن ثقافة الإسلام كلها قائمة ببدءاً من النبي نفسه، ثم الصحابة، ثم من بعدهم كلها قائمة على (الاتباع) ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ١٠٩) ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٥٥) اتبعوا علياً.

طَيِّب: مَنْ بَعْدَ عَلِيٍّ وَكَذَا^(١) هل نحن أرقى ممن كانوا في زمن النبي؟ هل نحن أعلى من النبي؟ هل نحن خارجون عن هذه القاعدة؟ لا يمكن، لا يمكن أن نكون خارجين عن هذه القاعدة، لو كان ما نسمح به لأنفسنا اليوم صحيحاً لسمح به الرسول لأصحابه من بعده، لَمَّا أُلْزِمَهُمْ أَنْ يَتَمَسَّكَوا بِأَحَدٍ، وَلَمَّا أُلْزِمَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا أَحَدًا، تَرَى كُلَّ وَاحِدٍ يَمْشِي عَلَى مَا أَدَّى إِلَيْهِ نَظَرُهُ وَاجْتِهَادُهُ. لَمْ يَحْصُلْ هَذَا أَبَدًا.

المسألة هي أن السُّنَّةَ الإلهية كلها قائمة على هذا النحو: الاتباع، ويمكن أن يكون بعض الناس (يَعْلَقُ) على العبارة هذه، أو يسخر من العبارة هذه، لكن نرجع إلى القرآن الكريم.

واحد من العلماء الذين كانوا من طلاب الإمام الهادي سألته شخص، هل أنت مجتهد؟ قال: لا، قال: أنت مقلد؟ قال: لا، قال: ما أنت إذًا؟ قال أنا لست ممن قال الله فيهم: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (النمر: ٣) ولا ممن قال فيهم: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثِمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢) لست من هؤلاء، ولا من هؤلاء. قال: فممن إذًا؟ جاء بآية توضح أنه لا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسِيرَ وَرَاءَ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ دِينِ اللَّهِ. قال الآية هذه نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه القصة هي مذكورة في كتاب: مجالس الطبري، الطبري أحمد بن الحسين، واحد من العلماء الذين درسوا عند الإمام الهادي (عليه السلام) - قال هذه نزلت في رسول الله، ما نحتاج إلى أحد بعده، أو إلى علم آخر بعده.

قال: إذًا أشرك على هذا، كثر الله خيرك. قال: لماذا؟ قال: رفعت عنا الدِّينَ بأكمله، إذا كنا لا نحتاج إلى علم نسير بعده فالدين بأكمله لا يستقيم، وبالتالي لا نحتاج إلى الدين بأكمله إذا كانت المسألة هي على هذا النحو: (كل واحد يمشي على حسب ما توصل إليه نظره واجتهاده)

فقال له: القضية ليست قضية اجتهاد، وليست المسألة مسألة تقليد، المسألة مسألة التَّبَاع. وتجدون هذا هو منطق القرآن المتكرر، وهو يخاطب النبي، ويخاطب الناس.

إذا جَوَّزْنَا لأنفسنا ما لم يجوزه الله لنبيه، وما لم يجوزه النبي للناس في عصره، مع أن وجوده كان يشكّل ضماناً، كان ممكن أن يجعل أصحابه يتمرنون تمرينات سنة قبل أن يموت، اجتهادات وهو ما زال موجوداً؛ ليشكّل صمام أمان. أليس هذا كان هو الطبيعي؟ وجود النبي (صلى الله عليه وسلم) يشكّل صمام أمان؛ لأجل إذا غلط أحد في اجتهاده يرجع إلى النبي، يقول له: لا، ليست المسألة هكذا.

فكيف نأتي نحن بعد غياب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونفتح لكل واحد يجتهد، وليس هناك صمام أمان؟! هل نحن كالديمقراطيين على أقل تقدير؟ ألف عالم مجتهدين، وكل واحد له رأي، لكن هم يقولون في الأخير: يجب أن نجتمع في قاعة واحدة، ونصوت على رأي واحد، ونخرج بحكم واحد في المسألة الفضائية. ليس هناك أي صمام أمان في المسألة، وليس هناك أي ضمان إطلاقاً، كلها فوضى، بينما الديمقراطيون أنفسهم يحسمون موضوع الفوضى بضرورة ماذا؟ التصويت في قانون واحد، لمادة واحدة، في مجال التشريع، نُظَم وقوانين.

فالمسألة إذًا هي فيما نفهمها هي مسألة اتباع، واتباع لمن؟ اتباع لأعلام دين الله، بدءاً من أنبيائه، ثم ورثة أنبيائه، من كانوا أعلاماً لدينه، وورثة لأنبيائه.

إذا كان عند أحد أي إشكالية في الموضوع فليسال، العيب الكبير أن يكون أي إنسان منطوياً على شك أو ارتياب، ثم لا يسأل، يستفسر، يناقش، إن استطعنا أن نجيب عليه، أو نوضح له المسألة، وإلا فهناك علماء أكبر منا، وأفهم منا، وأعلم منا.

وأي شخص يتأرجح في هذا الزمن، لا حظوا، أي شخص يبقى متردداً، متأرجحاً فهو عنصر فاسد، في هذا الزمن بالذات لماذا؟ إن كان في مسجد سيظل المسجد قلناً، إن كان في مركز سيظل المركز قلناً، نحن في مرحلة يجب أن نبني أنفسنا أمة واحدة، لا مجال فيها لمتعددي ومتأرجحي الأقوال، والآراء، والأفكار، والمضطربين، يجب أن يجتمعوا هم وحدهم في بيئة واحدة، يفصلوا أنفسهم عن الناس، المتأرجحون، المترددون، المتشككون، المضطربون ليس هذا عصرهم، هذا الزمن في مواجهة أعدائنا لا يسمح لنا أن نكون على هذا النحو.

مركز نقيم فيه دورات، وكلما جاء من سنة طلعنا أكثر تفرقاً وتبايناً في النفوس، هل هذا بناء لأمة، أو أن هذا

(١) مَنْ بَعْدَ عَلِيٍّ وَكَذَا: مَنْ بَعْدَ عَلِيٍّ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

هدم لأمة؟ ننتقل إلى مساجدنا، نختلف في داخلها كما اختلفنا في مدارسنا، ننتقل من كل قضية تواجهنا، نختلف أمامها، كما نختلف في مساجدنا، ومدارسنا، وهكذا. معنى هذا ضرب لأمة، المرحلة هي مرحلة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) فما يمكن أن يحقق لنا هذه نسير عليه، وكل واحد سيعرف أن الآراء المتعددة، الأفكار المتعددة، الاجتهادات المتعددة، الأشياء من هذه، تختلف مع: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ كما سألناكم في الكلمة السابقة، تختلف اختلافاً كبيراً.

وأنت عندما تتعلم، ثم لا تفهم كيف تخاطب الآخرين ممن قد يقدمون لك منطق: (أنه لا، القضية الصحيحة هي: الحرية، والانفتاح، والرأي، والرأي الآخر) وهكذا، ثم أنت لا تستطيع أن تبين له، ولا أن ترد عليه قوله، لا يجوز أن تنطلق كداعية، ولا يجوز أن تبقى كمربي.

نحن يهمنا الآن في من يقومون على المراكز، أن يحاولوا أن ينموا ثقافتهم، ينموا علومهم، أفكارهم، حتى يصلوا إلى درجة عالية، يستطيعون أن يردوا على كل من يطرح أشياء أخرى، يستطيعون أن يردوا عليه، يستطيعون أن يوضحوا له خطأ رأيه، خطأ قوله، ولن نستطيع أن نكون على هذا النحو إلا إذا اعتمدنا على القرآن الكريم.

بالنسبة للسؤال: هل هناك فرق بين التشيع والتبعية؟ وهل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي؟ أصله في القرآن، الغريب أن البعض قد يظن أن معنى أن أكون تابعاً، يعني: (أكون ثور)^(١) لا أدري بشيء، ولا أفهم شيئاً، ولا تتسع معرفتي "ولا جو أنا غير بعدهم بعدهم"^(٢) أليس هكذا قد يظن الشخص؟ العكس هو الصحيح.

عندما كان الله سبحانه وتعالى يقول للناس أن يتبعوا رسوله هل طلع من تبعوه، وذابوا في شخصيته، واهتموا بكل كلمة تنطلق من فمه، وساروا على خطاه، هل طلعوا (أثوار) أو طلعوا عباقرة، وطلعوا بحور علم؟ كيف كانوا؟ من هو أبرز مثال داخل صحابة رسول الله ﷺ (الله عليه وسلم) كان ذائبا في شخصية الرسول ﷺ (الله عليه وسلم) كان يقفو آثاره، كان كل كلمة من فمه لها أهميتها، يسير على خطاه، أليس هو الإمام علي عليه السلام؟

هل الإمام علي عليه السلام طلع ثور؟ أو طلع ماذا؟ طلع عبقرية، بهر البشرية كلها، كتب عنه المسلمون، وكتب عنه المسيحيون، وكتب عنه الكثير من البشر، الذين ليسوا ممن يدينون بهذا الدين، عبقريته، علومه، هذا هو نتاج ماذا؟ نتاج الاتباع، الذي يقول لك البعض: (يريد يطلع ثور، أطلع ثور) بينما وجدنا الآخرين، الذي يحمل الروحية هذه: أنه هو، هو "أنا جهدي"^(٣) التي نسميها استقلالية، يبني نفسه هو، ماذا طلع؟ طلع مثل عمر بن الخطاب، جاء أناس يسألونه عن غسل الجنابة، ما درى كيف يفتيهم في خلافته، طلع بجهالته أهلك هذه الأمة بجهالته، أهلك هذه الأمة بجهالته.

هل طلع عمر عبقرية كعلي أو على جانب من عبقرية علي؟ أبداً، ما الفارق بين عمر وعلي؟ ما الفارق بين الكثير من الناس الذين كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ (الله عليه وسلم) وبين علي، وبين عمار، وبين المقداد، وبين سلمان، وبين فلان، مجاميع؟

الفرق أن أولئك كانوا عندما يجلسون في محضر رسول الله ﷺ (الله عليه وسلم) ينظرون إليه كشخص اعتيادي، ويؤمنون بأنه رسول، وهم في نفس الوقت لديهم هذه التي نحافظ عليها.

أي طالب الآن يفكر أنه يريد أن يكون عبقرية، يريد أن يحافظ عليها (أنا، أنا بحاجة، وأنا أعرف، جهدي أعرف، أستطيع أن أكون كذا، أستطيع أن أكون كذا) فلم يعد يعطي أهمية لما يقوله النبي ﷺ (الله عليه وسلم) فطلعوا جهلة، طلعوا جهلة حقيقة، وما ضرب الأمة إلا هؤلاء الذين ما كانوا ذائبين في الاتباع للرسول ﷺ (الله عليه وسلم) فطلعوا جهلة هم، وضربوا الأمة بجهلهم وجنوا على الأمة إلى اليوم، إلى اليوم.

الله عندما قال للناس أن يتبعوا رسول الله ﷺ (الله عليه وسلم) كيف قال للنبي؟ كيف دوره معهم؟ يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، أنت عندما تتبع علماً من أعلام دين الله معناه أنه هو من سيقدّم لك من المعارف ما لا يمكن أن تصل إليه بنفسك، هو من يمكن أن يبني نفسك بالشكل الذي لا يمكنك أنت أن تصل إليه.

(١) أكون ثور: من اللهجة العامية، وتعني: أكون غيباً.

(٢) ولا جو أنا غير بعدهم بعدهم: من اللهجة العامية، وتعني: ولا أكون إلا وراءهم وراءهم.

(٣) أنا جهدي: من اللهجة العامية، وتعني: أنا أستطيع.

الله يقول لنبيه: دعوه يزكي أنفسكم، اتركوه يعلمكم، كيف نعمل؟ اتبعوه، وهو سيقوم بالمهمة، وكل كلمة تنطلق من فمه، اجعلوا لها أهميتها؛ لتطلعوا علماء، لتطلعوا عباقرة، لتطلعوا عظماء، لتطلعوا بالشكل الذي لا يمكن لأي شخص منكم أن يصل إليه عندما ينطلق على أساس أنه يستطيع أن يبني نفسه. ومن يقول لك: أن الاتباع معناه أطلع جاهلاً، فارجع إلى التاريخ، من ذابوا في الاتباع للنبي كيف كانوا، وفي المقابل من كانوا مثلنا "منحطين" ^(١) يريد وهو يُقدّم نفسه كندّ للنبي، كان عمر أحياناً يُقدّم نفسه كندّ للنبي، وهو! انظروا إلى من ذابوا في الاتباع للإمام علي، طلعوا أثوار أو طلعوا عباقرة، وعظماء، وعلماء، وحكماء؟ هكذا ارجع إلى التاريخ، من كانوا متبعين لأعلام أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هل كانوا يطلعون مغفلين؟ كمالك الأشتر، كشخصيات كثيرة.

ارجع إلى التاريخ تجد أن من كانوا يطلعون مغفلين وجهلة هم أولئك الذين لا يؤمنون بالمسألة، عنده هو: (أنا لأنك تفصل نفسك عن هدي الله، عن منهج الله، تبعد نفسك عن سنة الله في الهداية، وأنت كإنسان لا تستطيع، الله قال: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨) أنت إذا انفردت بنفسك أنت، أبعدت نفسك عن مصادر هداية الله، فستضعف أمام الشيطان، أنت ضعيف، علومك محدودة، قدراتك محدودة، ستكون جاهلاً. ووجدنا فعلاً كيف أن بعضاً من الأشخاص، ممن إذا جئنا إلى تقييم (اسم عالم) برصات الكتب، أو بما أنتج من كتب، يقال: عالم بحر، تجده بحراً من الضلال، كابن تيمية مثلاً، بحر من الضلال، من الظلمات، عقائد لا يمكن أن يعتقدوا أي واحد من الناس الذي لا يزال على فطرته، يعتقد عقائد فظيعة، وهو منتج، كم ألف من كتب، كم رصات كتب. هكذا الإنسان لا بُد أن يفهم هل المسألة فعلاً هي على هذا النحو، سيكون عبقرياً، سيكون كما قال الإمام علي: (علمني رسول الله ألف باب من العلم، كل باب يفتح ألف باب) أم أنه سيطلع (واحد جاهل).

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: وهل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]

إن أردت بالمذهب الزيدي الإسلام فحديث الثقلين هو من الأحاديث المعلومة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من الإسلام، أليس حديث الثقلين من الإسلام؟ هو يقول لنا: تمسكوا بالقرآن وبالعترة، والتمسك ماذا يعني؟ اتباع بقوة، أليس معنى التمسك هكذا؟ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢) ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة: ٦٣) ماذا يعني: خذوه بقوة؟ يمسك الواحد المصحف ويضغط يده عليه؟ أو يمسك الإسرائيلي التوراة ويضغط عليها؟ أو اتباع، أن تذوبوا في الاتباع، وتصميم في الاتباع، وانطلاقة جادة في الاتباع. هذا معنى: خذوا الكتاب بقوة، وكل ما فيه تجعلوا له أهميته، وتنطلقوا للالتزام به.

طبعاً هناك في (أصول الفقه) من يريد أن يشتغل ممكن، كل واحد يجتهد، والمطلوب من كل شخص هو أن يطلع مجتهداً، لكن إذا ما أتيح له أنه يطلع مجتهداً، وحظه سيئ فيقلد.

(...)

عندما يقول واحد: (كيف نترك هذا الفن؛ لأن هذا الفن يشجع الواحد أن يجتهد، وأنا أريد أن أطلع مجتهداً، ما يكون بيني وبين الله أحد، وأكون من محمد بن عبد الله وكذلك، ألزمه الله باتباع كم أنبياء وأنا ماشي اتباع، بل ما طلع في رأسي، والله هو الذي يتبعني!) هكذا بلغ المنطق إلى الدرجة هذه السخيفة: (مراد الله تابع لمراد المجتهد!) عبارة صريحة يمكن يقرأ أي واحد منكم في (شرح الكافل) وغيره؛ لأن مراد الله تابع لمراد المجتهد؛ ولهذا الإمام علي رد على من عملوا هذا العمل زمان، عندما كان قد حصل خلاف في الفتيا، قال: (أم كان لهم أن يشرعوا وعلى الله أن يرضى؟) هم يشرعون وهو عليه أن يرضى! هذا في (نهج البلاغة).

بلغوا إلى هذه الدرجة: (أن الله هو الذي عليه أن يكون مراده تابعاً لما أدى إليه نظري) هذا هو (أصول الفقه) ومن أراد أن يطلع مجتهداً، يطلع عبقرياً كما يظن فليتنفصل بأصول الفقه، لكن أعتقد هو لا يستطيع - ولو قرأ عشر سنين في أصول الفقه - أن يصمد أمام إشكالات تطرح عليه في ليلة واحدة، ليلة واحدة يمكن أن تنسف قراءة عشر سنين من أصول الفقه لديه، هل تفهمون هذه؟ إذا أحد منكم يريد - وفيه نخيط - أن يطلع مجتهداً

(١) منحطين: مفردتها منخط وهو المعجب بنفسه.

- كما يقولون - فيهاجر، تمام، ويأتي إن شاء الله بعد عشر سنين، ويجلس مع طالب ينطلق انطلاقاً قرآنية وسيرى نفسه، في ليلة واحدة يمكن أن يُنَسَفَ أصول فقه العشر سنين التي قرأها في ليلة واحدة، وسيعرف بعد أن كل تلك الفترة هو ضيعها في جهل، في جهالات، في ضلالات متراكمة.

أليس هذا من الضلال أن يصلوا إلى المسألة هذه؟ في (شرح الكافل) في الدليل على أن كل مجتهد مصيب، الذي هو من القواعد التي يقول البعض - لأنهم ما زالوا مختلفين في المسألة هذه - أنها من قواعد المذهب: (أن مراد الله هو تابع لمراد المجتهد)! ألم يقولوا هكذا؟

طيب: أنت تجد القرآن الكريم المسألة ليست على هذا النحو، أنت الذي يجب أن تتبع، يقول للنبي: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وأنا أقول للباري: اتبعني أنت، أنا سأفكر، وأطنن، وأطلع نظرية معينة، وأنت الذي عليك أن مرادك يتبعني، ويقبل كل ما طلع من رأسي! أليس هذا استكباراً على الله؟ هذا استكبار على الله، هذا كبرياء أمام الله سبحانه وتعالى.

هل يسمى هذا علماً؟ لا يمكن أن يسمى علماً، هذا جهل متراكم، من يكون نتيجة دراسته أن يرى (أن على الله أن يقبل ما طلع من رأسه، وأن الله يجب أن يكون مراده تابعاً لمراده هو) وهو الإنسان القاصر الضعيف، فهذه هي الجهالة، لا يمكن أن يسمى علماً، هذا هو الجهل، وظلمات من الجهل. وكل من يقول بأن كل مجتهد مصيب هو يقول بهذا: (أن مراد الله تابع لمراد المجتهد، فلهم أن يشرعوا وعليه أن يرضى)!

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: وماذا يعني انتماؤنا إلى العلماء؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]

انتماؤنا إلى العلماء بعبارة مبسطة نلاحظ نحن نسير على المنهج الذي يقدّمونه لنا، العبارة المعروفة عند الناس (نسير بعد علمانا) أليس هكذا نقول؟ نسير بعد علمانا، لكن متى ما اخترنا، وأحسننا الاختيار، حتى نعرف وراء من نسير، أمكن أن يقال: إن انتماؤنا، أو سيرنا هو على أساس صحيح، ويوصلنا إلى غاية صحيحة. ولا تجد في العلماء، يختلف العلماء، وتختلف أنظارتهم، وتختلف آراؤهم، قد يكون في الموضوع أن هناك اتفاقاً إجمالياً على بعض أشياء، على شرعية أشياء مثلاً، شرعية أشياء معينة، وإن كانوا يختلفون في تفاصيلها، هم من حيث المبدأ مثلاً مجمعون على شرعيتها.

مثلاً هم مجمعون على شرعية الجهاد في سبيل الله، أليس هذا معروفاً عند كل العلماء؟ مجمعون على شرعية الجهاد في سبيل الله، لكن قد تأتي إلى تفاصيل معينة، من أعمال يراها هؤلاء أو هؤلاء أنها هي من الجهاد في سبيل الله، وقد يخالف هذا هذا، قد يخالف هذا مثل ما يخالفون الآن عندما يأتي الشعار يُرفع، بعض الناس يقول: لا، بعضهم لا يرفعه، وهو عالم لا يرفعه، لكن لو تأتي تقول له: هل هذا العمل هو يرضي الله؟ يقول لك: نعم. هل الجهاد في سبيل الله مشروع؟ يقول لك: نعم، لا شك فيه، لكن لماذا؟ يقول لك: (أنا ما قد هو واجب علي، ما هو واجب علينا هذا)! قد يقول لك هكذا.

انتماؤنا إلى العلماء، أفضل أن نقول: أن نحترم العلماء، هل تفهمون هذه؟ نحترم علماءنا، لكن ويجب أن نفهم أن علينا أن نعرف وراء من نسير، وعلى أي نهج نسير، وتتعلم، وتتفقه، ولو كنت تعتمد على كلام بشر من البداية حول هذا الموضوع، اعتمد القرآن أولاً، هو الذي سيصنف لك الناس، القرآن هو يغربل كما قلنا لكم (في الكلمة في فترة العصر) هو يقيّم كل شيء أمامك، يقيم لك الناس جميعاً.

والقرآن هو المقياس الصحيح؛ ولهذا سمي القرآن نفسه هو: الثقل الأكبر، حتى فيما يتعلق بحديث الثقلين أسنا ملزمين بالاتباع لكتاب الله، وعترته رسوله؟ سمي القرآن الثقل الأكبر، والعتره الثقل الأصغر؛ لأنه في بعض الأحاديث، في بعض روايات ألفاظ الحديث: ((ثقلين أحدهما أكبر من الآخر)) هكذا، نحن سنحکم الثقل الأكبر على الثقل الأصغر؛ ليتبين لنا من داخل الثقل الأصغر وراء من نسير، ومع من نكون.

هذه هي القاعدة الصحيحة، وإلا ممكن أن تتبع عالماً معيناً لا يحرك ساكناً، ليس له أي موقف، يمكن أن تحتاج إليه فيما يتعلق بفتاوى معينة، يمكن فيما يتعلق بموقف من أعداء الإسلام، فيما يتعلق بوضعية الأمة الآن هو ليس حول هذا الموضوع، وعنده ما هو واجب عليه هذا الموضوع بأكمله. أنت عندما تقول: (وأنا ما هو واجب علي مثل فلان) فقد تخرج مع القرآن، ترجع إلى القرآن تخرج معه، تجد أن منطقه يختلف عن منطقك أنت

وعالمك كما قلنا أن: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ منطق يختلف معك أنت وفلان، أو عالمك الذي يقول لك: (لا، كل واحد يجتهد) القرآن هو المقياس الأساسي، هو المرجع الأول والأخير الذي يحكم على عترة رسول الله، ويحكم على البشر جميعاً.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: ما هو الاجتهاد عند الزيدية؟ وهل له حصر أم هو في عموم الفروع؟ أفيدونا جزيتم خيراً. فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:].

قد تحدثنا حول الاجتهاد. الاجتهاد أنا شخصياً غير مقتنع إطلاقاً أن المسألة هكذا - كما يقولون - مفتوحة، وكل واحد يتعلم يطلع مجتهداً، ويمشي على ما أدى إليه نظره، أنا أعتبرها باطل الباطل، باطل الباطل، ومخالفة لكتاب الله، هذه القاعدة مخالفة لكتاب الله، بغض النظر عما يقولها من الناس، أو ممن يسير عليها من الناس، أو ممن يتعصب لها من الناس.

نحن ما نقوله ليس اجتهداً، أنا شخصياً لا أجتهد، هل تعرفون هذه؟ لا أمارس عملية الاجتهاد إطلاقاً، هل تفهمون هذه؟ ودائماً أقول: كل ما نقدّمه للناس ليس بجديد، كل ما نقدّمه للناس من صريح القرآن الكريم، ومن صريح أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن صريح أقوال أئمة أهل البيت القدامى، ومن صريح الواقع الذي كشف لنا خطأ كثير من القواعد التي ينشغل بها الآخرون، الواقع، الأحداث، هي مما يكشف الأخطاء، مما يساعد على كشف الأخطاء.

الله جعل المتغيرات من آياته ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣) وكل من يتحدثوا عن عظمة الإسلام هم يقولون: (إن الأدلة على صحة الإسلام وعظمته هو أنه لم يأت زمن يكشف أنه خطأ) لم تأت متغيرات توضح أنه خطأ، توضح أنه باطل، كما قال الله تعالى عن القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢) تأتي المتغيرات والأحداث في الدنيا، لا يأتي حدث تقول هو كشف باطلاً في القرآن، أو دل على أن هناك داخل القرآن باطلاً أبداً.

وأنا أقول، وأنصح من أراد أن يسير على هذا النحو: (يريد أن يجتهد) سيطلع جاهلاً، علومه محدودة، نظرته محدودة، وقاصرة، في الوقت الذي يظن أنه سيعرف كل شيء.

ليذوب الناس في القرآن، والقرآن (هو بحر لا يدرك قعره) كما قال الإمام علي، من المعارف من العلوم، وتذوّب أنت في الله، وفي معرفة الله، وستعرف أشياء كثيرة جداً، تعرف صحة هذه، وباطل هذه، غير هذه لا يكون مع الإنسان الذي قد أصبح مجتهداً إلا انتفاخ من داخل فقط، مجتهد، ماذا أمامه يجتهد؟ قضايا حيض، نفاس، تفاصيل من هذه الأشياء.

قل لمن يقولون إنهم يريدون أن يجتهدوا: حياكم الله، تعالوا نجتهد جميعاً في هذا الظرف كيف نواجه أعداء الله، هذا هو مكان الاجتهاد، ليس أن تأتي تشغلني وأنت متمسك بأصول الفقه، والاجتهاد، اجتهد، ثم أراك تريد أن تشغل الاجتهاد في ماذا؟ تشغل الاجتهاد في الميدان الذي قد (دبغوه) من قبلك الناس. كل من يريد أن يجتهد رجع إلى تلك الأشياء السهلة، على فروض الوضوء، ونواقض الوضوء، وتلك الأشياء السهلة.

لكن يشغل آيات أخرى، فيها مشاكل، تحتاج إلى أن يكون ممن لا يخشى إلا الله، في الأخير يبحث للمسائل التي قد جهزوها، ويغطي على الآيات! لماذا لا يجتهد من يتعصبون لأصول الفقه، فيشغلوا: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤)؛ أليست هذه آية واضحة؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ (المائدة: ٢٥) تعال اجتهد هنا. عندما يقول هنا نريد أن نقفل! لا، لا، لا تقفل، المجال أمامك مفتوح من هنا إلى واشنطن، والعالم كله وسيع، اجتهد في الميدان هذا، هذا هو مكان الاجتهاد الحقيقي.

وللأسف كان بعض الأشخاص الذين يتعصبون للمسألة هذه، أصول الفقه ونحوها، كانوا من يقولون هم في الماضي: (يجب أن نحمل همّاً كبيراً، وقضايا الأمة، وقضايا الإسلام، وننطلق للعمل على إعلاء كلمة الإسلام) حتى جاء وقت الصدق، وإذا به يريد أن يشغل الاجتهاد في تلك السهلة، أو ضد أهل البيت، الذين ليس معهم دولة يخافها.

يقوم على الأئمة كلهم بانقلاب، لكنه لن يجروا أن ينقلب على مدير ناحية، يعمل انقلاباً على أئمة أهل البيت؛

لأنهم ليس لديهم دولة يخافها، تراه بطلاً شجاعاً يتحدى أهل البيت جميعاً، وأئمتهم جميعاً، لكن لا يمكن أن يخرج على مدير ناحية، لماذا؟ هو عارف. فيكون هكذا اجتهد في الأشياء السهلة، وضد الناس الذين لم يعودوا موجودين، والذين ليس لديهم سلطة، والذين لست خائفاً منهم، أما في الميادين الصعبة، لا، كيف وأنت تقول لي: (أصول الفقه) من أول قواعد أصول الفقه أن الأمر يفيد الوجوب أليس هو هكذا؟ صيغة (افعل) تفيد الوجوب، لماذا تشغل (افعل) في تلك الأشياء السهلة، وصيغة الأمر في هذا المكان لا تشغلها، عندما يقول لك الله: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أليس هذا ﴿كُونُوا﴾ فعل أمر يقتضي الوجوب؟

تعال شغل هنا أصول الفقه، شغله هنا واجتهد ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ تعال نقرأ أنا وأنت كيف يمكن أن يتحقق النصر لله ولدينه هل بالآراء المتعددة، وننشئ جيلاً متفرقاً متضارباً، متناقشاً متجادلاً، أو جيلاً واحداً، ثقافة واحدة، رؤية واحدة، ويكون مشبّعاً بالمعرفة، وقناعاته راسخة؟

هذا هو من أصول إمامنا زيد بن علي عليه السلام لا تتصور أن الإنسان إذا قد هو - زعم - سيتبع أهل البيت فسيكون (كرتون) ^(١) ليس فاهماً لشيء. الإمام زيد كان يقول هو: (البصيرة، البصيرة) أهل البيت من يعطون أتباعهم بصيرة، من يعطونهم قناعة، من يعطونهم معرفة، من يعطونهم فهماً، من يعملون على أن يكونوا علماء، علومهم واسعة، ومداركهم واسعة، ومعارفهم واسعة.

لكن ارجع إلى الآخرين تطلع ثور حقيقة. من هو الثور؟ الذي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الله يحب رجلاً إذا رمل): (سيكون أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي). لاحظ الناس الذين يريدون أن يطلعونا أثوار حقيقة هم هؤلاء، يصلح لك حديث: (لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول؟ قال: اسمع وأطع الأمير وإن قصم ظهرك، وأخذ مالك) هذه هي الحرية التي يقول البعض: (انفتاح على هؤلاء، وحرية مع هؤلاء).

أليست هذه هي العبودية؟ أليست هذه هي الحيوانية والبهيمية؟ هي هذه: (يكون بعدي أمراء لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي) اسمع وأطع هؤلاء! لكن تأتي إلى عند أهل البيت تقول له: إمام من أئمة أهل البيت، يهتدي بهدي الله، ويستن بسنة رسول الله، ويهدي الناس بهدي الله، ويقيم في الناس سنة رسول الله، يقول: (أنا لا أؤمن بمرجعيتي، أنا لا يلزمني أن أسير وراءه، أنا، أنا، أنا... إلخ، أنا منه وكذاك، أنا منه وفوق). لكن أمام من يقولون هكذا: (أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي). هل هذا منطق أهل البيت؟ هذا مما يحاربه أهل البيت؛ لأنه هنا الحيوانية، هنا البهيمية، هنا الطغيان، هنا القهر للإنسان، هنا العبودية للإنسان، هنا الإذلال، هنا ما يتنافى مع كرامة الإنسان، هنا ما يتنافى مع جلال الله وعظمته، أن ينسبوا هذا إلى دينه: طاعة الطواغيت، طاعة الظلمة، ويجعلونها من دين الله.

هل هذا من مذهب أهل البيت أو من مذهب الآخرين؟ من مذهب الآخرين. إذا عمل أحد على إخراجك من مذهب أهل البيت فماذا سيحصل؟ ستقع فيما عليه الآخرون. ونحن سمعنا بأذناننا من أشخاص ممن يقول لكم، من يأنف عندما تذكر له أيّ عظيم من أهل البيت، سمعناهم يقولون لأشخاص - ضباط في المؤتمر الشعبي -: (وجّهونا واحنا بعدكم، نمشي على أيّ توجيه منكم)! يؤمن بمرجعية ضابط عميد لا يعرف كتاب ولا سنة!

لكن تقول له: (بدر الدين) يقول: (ما يلزمني)! قل له: فلان، إلى أن تصل إلى علي بن أبي طالب، ما هو لازم له! هكذا يقع الإنسان في الضلال، الذي لا يسير على نهج أهل البيت سيسير على نهج الآخرين، وهذا هو نهج الآخرين: (أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي). تنزلها وزارة الأوقاف، في ملزمة، وتعممها في المحافظات، وتقيم دورة للخطباء من أجل أن يخاطبوا المجتمع بهذا المنطق، لا يكفيهم أنه يحكم ويظلمك، بل هو يريد أيضاً أن تؤمن بأنه يجب عليك أن تطيعه، وإن ظلمك، وإن قصم ظهرك! هذا هو الإسلام الذي يسمونه: المرن، والمنفتح، والأشياء هذه، أهل البيت متشددون، أهل البيت (ضيق)! وأشياء من هذه، هكذا يقولون.

نحن نقول عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الله يحب رجلاً إذا رمل): ((ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) أن من خرج عن دائرة القرآن والعترّة، لا بد أن يضل، وإن ظن أنه من أكثر الناس عبقرية، وإن وسّم نفسه بأيّ لقب يكون، لا بد أن يضل.

(١) (كرتون) تُطلق في اللهجة العامية على الشخص الجاهل الغي.

أنا أنصح أي شخص عنده ميول لأصول الفقه، وأشياء من هذه، أن يهاجر ويترك المراكز تقوم على اتجاه واحد، أصلح له وأصلح للناس. أليس هذا أفضل؟ لا يجوز له أن يبقى مركز معين محل اختلاف، وقلق، أي مركز كان، أنا لا أعرفه، لا أقول هذا المركز يحصل فيه من هذا، لكن أعرف مناطق حصل فيها من هذا القبيل. يا أخي أنت غادر، سير هاجر حتى عند فلان الذي يشجعك، ومع السلامة، اطلع إن شاء الله في الأخير نراك عبقرياً، تجتهد، تجتهد حتى ترجع تقول لضابط: "وَجَّهْنَا واحنا بعدك". أليس هذا اجتهاد منزل؟^(١)

واترك الناس ينشؤوا أمة واحدة، وربما في المستقبل لا ينفك إلا هؤلاء الذين تريد أن تتفرق أنت وإياهم، وتفرق كلمتهم، ويطلعوا قلقين، وتحاول أن تكسب لك أنصاراً منهم، يكونون هم على رأيك وعلى أفكارك، ويطلعوا.. اتركهم ينشؤون على اتجاه واحد، ربما في المستقبل ما ينفك أنت واجتهادك إلا هؤلاء. وإذا أنت تريد أن تعرف أن الأمة بحاجة إلى هذا الشيء، وليسوا بحاجة إلى منطقك، انظر الواقع الآن الذي قلته سابقاً، أي إنسان يقول: إن الأمة الآن هي بحاجة إلى الرأي والرأي الآخر؟ أو بحاجة إلى الاجتهادات المتعددة، أو بحاجة إلى الأحزاب المتعددة؟ ولا بدوي سيقول.

سيقول أي بدوي: (الأمة هذه لو يتجمعون زعماء العرب). أليسوا يقولون هكذا؟ الناس الذين لا يستطيع بعضهم أن يتحدث يقول: "والله لو يجتمع رؤساء الدول أن جهدهم يدمروا إسرائيل" بعضهم يقول كذا، بعضهم ما قد هو عارف يتكلم، يعرف أنه لا مخرج للأمة إلا بوحدة الكلمة، ووحدة الصف، ولا يمكن أن تقوم وحدة كلمة ولا وحدة صف مع تعدد الآراء، والاتجاهات، والمذاهب، والأقوال، لا يمكن.

لو ما فرقنا إلا هذه: زيدي، شافعي، حنبلي، زيدي داخله كل واحد مذهب وحده، يوجد مذاهب أخرى حسموا القضية من بحين^(٢) قالوا: ليست هذه منطقية. الذي يقول لك البعض: إن هذه من ميزة المذهب الزيدي، عندما تقول له: لازم تكون كلمتنا واحدة، أن ينتهي هذا التفرق. قالوا: (لا يمكن، هذه من ميزة المذهب الزيدي، كل واحد يمشي على ما أدى إليه نظره، ولو ما هو كذا ما من مشينا عليه)! يا أخي: المذاهب الأخرى حسموا القضية من بحين، عرفوا أنها خلل، وخطأ، أفضلوا باب الاجتهاد هذا الذي تقول به، أفضلوه من بحين، شوافع، وأحناف، ومالكين، وحنابلة، كلهم أفضلوه، يمشون على فقه الشافعي، مجتهدين قدامي فقط يمشون على مذهبهم فقط؛ لأنه يعرف أنه أن يفتح الموضوع. أي: لا يستقيم شيء، وخربطة في كل مجال.

لكن نحن نقول: نفتخر نفتخر أن مذهبنا يجعل كل واحد من شعبة معناه هكذا، نفتخر أن مذهبنا يجعلنا نطلع بصل، رؤوس (قومي رؤوس كلهم - رأيت مزرعة البصل) ليس معهم "عاقده شور"^(٣) ولا يجمعهم شيء. أليس هذا واقعنا الآن، الزيدون؟ ألسنا هكذا؟ هل نحن متوحدون؟ أبدأ، من عند علمائنا، متعلمينا، عوامنا، ليس هناك وحدة، إلا الوحدة القبلية فقط، التي داخل القبائل، الباقي لا يوجد وحدة إطلاقاً، ولا موقف نحن نسير عليه بتوحد، موقف عملي في الساحة لا يوجد. هذه هي الميزة التي يريدون أن نبقي عليها دائماً حتى يأتي اليهود وينهوننا.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: هل نحن نعمل بالتقليد أم بالاجتهاد؟ وما فائدة الاجتهاد؟ وما نصيحتك لنا

فيما ندرسه من علوم الإسلام ومن الكتب خاصة في أصول الدين وغيره؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه: [أنا أنصح أن يقرأ الواحد كتاباً اسمه (مجالس الطبري) فيه هذا الموضوع الذي - لست متذكراً له أشرحه - حول مسألة اجتهاد وتقليد، وكيف قال في المسألة، كتاب مجالس الطبري ربما قد يكون في المركز شيء منه^(٤).

موضوع أصول الدين نحن لا نحارب أصول الدين، نحن نحارب علم الكلام المتأثر بأساليب المعتزلة، علم الكلام المعتزلي، افهموا هذه، يقول لكم بعضهم: إننا نحارب أصول الدين! ألسنا نقول: نقرأ (المجموعة الفاخرة) (مجموع القاسم) و(البساط) ونحوها من كتب أصول الدين لأئمة أهل البيت القدامى، الذين ليسوا متأثرين

(١) منزل: هابط.

(٢) من بحين: منذ زمن.

(٣) عاقده شور: من اللهجة العامية، وتعني: من يجمعهم على رأي واحد.

(٤) مجالس الطبري، تأليف أحمد بن موسى الطبري.

بأساليب المعتزلة؟ أمّا الكتب التي هي متأثرة بأساليب المعتزلة فهي سيئة جداً آثارها، افهموا الذي نقوله: علم الكلام الذي جاءنا من عند المعتزلة، والذي تأثر به بعض من كتبوا من داخل الزيدية تحت مادة أصول الدّين، (علم الكلام) هو اسم يُطلق على الذي نسميه: أصول دين، (علم الكلام) الاسم الحقيقي له قالوا لأنه كثير الأخذ والرد فيه، كلام كثير.

أصول الفقه الذي نحاربه الذي تحت عنوان: أصول فقه، لكن لا نحارب أصول دين، نحن نحارب علم كلام متأثر بالمعتزلة، المعتزلة والأشاعرة كلهم ضرّوا كبيراً بالإسلام، وكلهم تركوا آثاراً سيئة في واقع المسلمين الثقافي. في أصول الدّين نقرأ (المجموعة الفاخرة) وتعطى أولوية لرسائل على رسائل أخرى، ما نقرأ مثل الرسائل التي هي رد على ابن الحنفية إلا بعد ما نقرأ الرسائل الأخرى قبلها، يعني أن الموضوع يكون أعمق هنا من موضوع هنا، ابدأ أول شيء بهذا، ثم هذا، ثم هذا، تصل عند هذا الذي فيه أخذ ورد أعمق ويكون قد أصبح عندك خلفية.

في المعاني والبيان يوجد كتاب جميل كان مقرّراً في الثانوية (البلاغة الواضحة) مع دليله، كتاب جميل في البلاغة، في المعاني والبيان، وكتاب آخر اسمه: (أساس البلاغة) لأحمد الهاشمي، كاتب مصري، كتاب ممتاز أيضاً في البلاغة. والبلاغة أيضاً لا تحصل بالقواعد، نقرأ قواعد البلاغة وتكون بليغاً أبداً، يكون عندك فقط معرفة بقواعد البلاغة، وقد يكون منطقك ركيكاً، أو كتابتك ركيكة.

البلاغة تأتي من خلال القراءة للكتب البليغة في منطقها، القرآن الكريم في المقدمة، بتدبر وتأمل، ومثل نهج البلاغة، ومثل الكتب التي هي بليغة، لا نقرأ كتباً ليست بليغة، فإنها تؤثر على أسلوبك، وعلى منطقك، وعلى قدرتك البيانية، هكذا يقول بعض العلماء من علماء البلاغة السابقين: بأن هذا هو من أفضل ما يمكن أن يحصل الإنسان من خلاله على قدرة بيانية، قدرة تعبيرية، أو قدرة في الكتابة، يكون عنده قدرة بيانية في كتابته أو في كلامه.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: ما معنى قول الله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: ١٩)؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]
معناه: عقوبة هنا يأتي بمنطق التهديد ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ﴾ الفصل بالعقوبة النهائية لطرف.

أيضاً الآية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣) يبيّن أن مهمة الرسل، والكتب السماوية هي: أن تجسم موضوع الاختلاف؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أجل ماذا؟ لأجل أن يجسم موضوع الاختلاف فلا يختلفون، يقولون في تفسيرها أن معناها: (كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله النبيين) أي: كانوا على دين واحد، على طريقة واحدة من بعد آدم فترة مُعيّنة من الزمن، لا يختلفون، حتى بدأ الاختلاف يدب فيما بينهم، فجاءت الكتب السماوية، وجاء الرسل من أجل أن يجسم موضوع الاختلاف.

[هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين: هناك من يقول ليس المطلوب اتباع الأشخاص من أهل البيت، وإنما المطلوب اتباع المنهج مجرداً عن الأشخاص فهل هذا الكلام صحيح؟ فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]
هذه القضية هي ناشئة من فهم (أن كل إنسان ينطلق هو، ما هو بحاجة أحد) لكن لو كانت المسألة، هل صحيح أن الإنسان إذا انطلق هو فسيصيب الحق في كل قضية؟ كان ممكناً لو افترضنا أن المسألة هي هكذا، لكن الذين يقولون هذا الكلام كلهم مجمعون على أنه يحصل خطأ. المجتهدون يخطئون، والباحثون يخطئون، والناظرون يخطئون. هكذا، قضية مسلّمة، إذا كان الكل مؤمن بأن الخطأ يقع، وبنسبة كبيرة، فهل هذه القضية صحيحة من أصلها: (أن الله أوكل الناس إلى أنفسهم، والقضية هي هكذا: ما أحد يحتاج إلى أعلام، ولا يحتاج إلى كذا).
أيضاً الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما جاء بحديث الثقلين وقال: كتاب الله وأهل بيتي؛ لماذا تحدّث عن عترته، تحدّث عن أهل بيته؟ إذا المسألة ليس هناك حاجة للأشخاص، ليس هناك حاجة لقدوات، ليس هناك

حاجة لأعلام، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) هو أرحم بنا من غيره، أرحم بالناس. هل سيضيف علينا شيئاً مُعَيَّناً لسنا بحاجة إليه، لا ترتبط هدايتنا به، لا ترتبط نجاتنا به؟ يضيف علينا شيئاً مُعَيَّناً؟ لا يمكن أن يحصل هذا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)!

نحن متفقون، نحن وهؤلاء الأشخاص الذين يُنسب إليهم هذا الكلام أنهم يعرفون أن حديث الثقلين صحيح، وأنه ورد من رسول (صلى الله عليه وسلم) أحاديث هي تدل، أو توحى، أو تشير إلى أن الأمة مطلوب منها، أو يجب عليها أن تسير متمسكة بأهل البيت، راكبة في سفينة أهل البيت.

إذاً فلماذا النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: أهل البيت، أهل البيت أو عترتي؟ إذا كانت القضية ليس هناك حاجة لأشخاص فيسكت نهائياً. وفعلاً رسول الله لا يمكن أن يذكر أهل بيته وليس هناك حاجة لدينا نحن، فيما يتعلق بالاهتداء، ليس هناك حاجة إلى أهل البيت لم يكن ليتكلم عنهم نهائياً؛ لأنه كما وصفه الله ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيمًا﴾ (التوبة: ١٢٨). لا يمكن أن يضيف عليهم أرقاماً هكذا، وبهذه الأهمية البالغة: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي)) كأننا نقول لرسول الله: أنت فقط زدت عترتك؛ لأنك تحب أولادك، تريد أن نحبهم، تريد كذا، تريد كذا، وإلا فالأصل كتاب الله فقط. كأننا نتحدث مع النبي نفسه، أي: أنت تتهم النبي أنه قال بحديث الثقلين من باب المحاباة لعترته، يريد فقط أن يوجد لعترته ولأهل بيته، أولاده، أو ذريته مقاماً في الأمة متميزاً، ويريد، ويريد... إلخ. هذا ليس أسلوباً مؤدباً مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بل جرح لشخصه، جرح لشخصيته، ومقاصده.

سورة (الفاتحة) تتحدث عن أناس، عندما قال الله فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٧، ٦). لماذا ذكر أيضاً الذين أنعمت عليهم؟ أليس ﴿الَّذِينَ﴾ يعني: أناساً؟ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾ يعني: أناساً. كان يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويكفي! لماذا تربط المسألة بأناس؟ هكذا، لا بُد، لا بُد، الحق يحتاج إلى أعلام وهداة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧). هكذا يقول الله. لا بُد للأقوام، لا بُد للأمة من هداة، من أعلام يقتدون بهم، يسرون على هديهم، يتأسون بهم، ينجون نهجهم. كما أن الباطل نفسه يحتاج إلى أعلام، حتى الباطل يحتاج إلى أعلام، "ما ينفق"^(١) باطل بدون أعلام، يرمز له شخصيات ينفق في ظلها. كذلك الحق يحتاج إلى أعلام.

ليس الحق مثلاً أشياء تنبت، يمكن أن يسير الواحد يجمع له (حزمة) حق، أو يسير "يجز"^(٢) له كيس حق، أو يأكل له حبتين حق، أو أشياء من هذه، ليست هكذا. الحق يتمثل عادة هو والباطل في ناس، الباطل يتمثل في ناس، والحق يتمثل في ناس كله.

عندما نقول مثلاً: الحق ضائع، الحق مغمور، ألسنا نقول بالعبارة هذه؟ ماذا يعني ذلك؟ أن تجسيده في واقع الحياة غائب، أمّا هو كمبادئ مكتوبة مخطوطة فهو موجود. هل يمكن لأحد أن يقول: (أبداً، الإسلام بخير، والدنيا بخير، وليس هناك أيّ إشكالية، ذا عندك الحق وافي، ولم يتعرض لأي حاجة، معي (ختمة) جديدة في الشنطة ولا يلحقها أيّ حاجة؟ هل يمكن هذا؟ الحق في واقع الحياة، عندما نقول: هو سائد بحركة الناس على أساسه، تجسيده وهم يمثلونه، ويتمثل في حركاتهم، وفي سكناتهم، ومواقفهم. كذلك الباطل.

هذه المسألة مخالفة للسنة الإلهية؛ لأن الله يأتي بكتاب ونبي، أليس الله هكذا يأتي بواحد من البشر؟ ومع ذلك على الرغم من وضوح كتابه، أليس يقول: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾؟ أليس هكذا يقول عن القرآن؟ طيّب: كتاب مبين، وأيضاً تربطنا بواحد من الناس، محمد (صلى الله عليه وسلم) أليس يربط الناس به، يربطهم بمحمد؟ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩) ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) كلام كثير حول طاعة الرسول. أليس هذا حاصلًا؟

عندما تراه كتاباً مبيناً، سنة إلهية، يأتي منهج وقدوة، كتاب وعلم من البشر. حتى عندما اقترحوا أنه كان المفروض أن يرسل الله ملكاً يقول لهم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُونُ مُطِئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

(١) ما ينفق: من اللهجة العامية، وتعني: لا ينطلي على الناس.

(٢) يجز: يَحْصُدُ.

مَلَكًا رَسُولًا ﴿الْإِسْرَاءُ: ٩٥﴾ نَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عِلْمٌ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥).

فمن يقول بهذه العبارة: (لا حاجة للأشخاص) إذا كنت تريد أن تقول بهذه العبارة، وتريد أن توجد لها شيئاً يُعتبر مثالاً، إن أول من تقول: إذاً فلا حاجة له هو محمد (صلى الله عليه وسلم) لا حاجة له؛ لأنه جاء بكتاب عربي، وكان بإمكانه أن ينزل عليه في شهر رمضان كله، ويكلف من يكتب منه عدة نسخ، ويعطيهم وهو كتاب بلسان عربي مبين. أليس هكذا؟ ومحمد يعود إلى بيتهم "والله يفتح عليه" (١) ولا قيمة للشحم واللحم - كما قالوا - والقضية هي فكرة ومنهج، ولا قيمة للأشخاص! لماذا الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين، نزل عليه، ويقول للناس: أطيعوه، اتبعوه، انصروه، عزروه، وقروه... إلى آخر ما يقول لهم في البشر هذا؟

هكذا لا بُدَّ، لا بُدَّ، أي: فإن كان هناك إمكانية الاستغناء عن بشر - على هذه القاعدة - فإن أول من يمكن أن يقال، ويكون مصداقاً لهذه (إذاً فليستغنى عن محمد من البداية! لماذا يأمرنا بطاعة واحد بشر؟! قد هذا القرآن بلغتنا، وهو بين وواضح، والله يفتح عليه، يرجع عند خديجة، ويقسم لنا عدة نسخ منه، أو يجلس في بيتهم، يكون يكتب له عدة نسخ، ويوزع، يشعل له عمالاً ليكتبوه، وانتهى الموضوع).

ولأنها سنة إلهية يقول الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ أليس النبيون بشراً، شجماً ولحمًا؟ الذين يقولون: لا قيمة للشحم واللحم! ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أعلام، ومنهج، قدوة ومنهج، لا بُدَّ منه.

المشكلة هذه: (إذا واحد عنده أنه يستطيع أنه يصلح كل شيء، يعرف الحق من دون أحد، ولا هو بحاجة إلى أحد) حتى ولا علي بن أبي طالب هذه السلسلة كلها إنما فقط رسول الله؛ لأنه لم يعد بالإمكان أن يستغنى عنه، فممكن أن يحصل عنده أفكار من هذه. والقضية من أساسها ليست قضية إضافات تكاليف. هدايتنا نحن، من مصلحتنا نحن أنه لا بُدَّ من هذا الشيء.

فأهل البيت هم للناس، يجب أن نفهم هذه، ليسوا حملاً على الناس، بل هم للناس، ومن أجل الناس، كما أن القرآن قال الله عنه إنه للناس، ألم يقل للناس؟ وقال عن محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ (النساء: ٧٩). فالقرآن، والرسول، والعتر، كلهم ماذا؟ للناس، من أجل الناس، أي: لا بُدَّ من هذا في هداية الناس؛ لتحقيق لهم الهداية، من مصلحتهم هم، ليس معناها هكذا: إضافة أعباء، أو عبارة عن أشياء فخرية، أو تقديرية، لازم أن نؤديها مراسيم معينة، وإلا ليس هناك حاجة إليها.

من يقول بهذا الكلام هو من ينسى أن الله رحمن رحيم. ألسنا نقول: إن معرفة الله مقياس لكل شيء؟ الله هو رحيم بي، ورحيم بك، ورحيم بالناس جميعاً، لا يمكن أن يضيف شيئاً لست بحاجة إليه، ولا له علاقة بهدايتك، ولا له أثر كبير في هدايتك. لا يمكن أن يضيف عليك أشياء من هذه.

كيف يضيف أشياء ونحن نراه سبحانه وتعالى يأتي ينقص نصف الصلاة التي هي وقفة معه عندما أكون مسافراً مسافة بسيطة "لوما بلا سا ساقين" (٢) مسافة بريد مثلاً، ينقص عليك ركعتين. إذا أردت أن تفطر رمضان وأنت مسافر فأفطر ليست مشكلة؛ رحيم بعباده. هل سيأتي يحملهم أشياء، يضيف عليهم أعباء أخرى، وهم في غنى عنها؟ لا، لكن لرحمته شرع لهم هذا؛ لأن لهذا علاقة كبيرة بهدايتهم، لهذا علاقة كبيرة بسعادتهم، لهذا علاقة كبيرة بنجاتهم. فكيف نرى ما شرعه الله، نعتبره حملاً، نعتبره مشكلة، نحاول أن نتخلص منه؟!

لأن المشكلة أننا نجهل دين الله، هي المشكلة التي تقول لكم من بداية الكلام: عندما يكون الإنسان لا يعرف أن دين الله نعمة، ولا يفهم قيمة هذا الدين فسيري (هذا حمل، وهذا ثقل علينا، وهذا مجرد تكاليف) عندما لا يكون الواحد يفهم أن الناس وأن واحداً من الناس بحاجة ماسة إلى هذا الدين، بحاجة ماسة إلى الهداية، بحاجة ماسة إلى النجاة، والله ما عمل إلا ما فيه نجاتك، ومن أجلك أن تنجو.

الوالد معه كتاب جميل - صدر حديثاً - في تفسير: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣)

(١) الله يفتح عليه: عبارة يقولها عامة الناس للشخص عند مغادرته أو الاستغناء عنه.

(٢) لوما بلا سا ساقين: من اللهجة العامية، وتعني: لو لم تكن إلا إلى "ساقين". وساقين هي مركز المديرية وتقع غرب محافظة صعدة.

ولا حظوا هذا المرض - الذي نقول - مرض الجهل بعظمة الإسلام، وبنعمة الإسلام، والجهل بالله سبحانه وتعالى، هي إشكالية "من بحين" ليست من قريب، هناك مفسرون يحاولون أن يتخلصوا من آية: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ بأي وسيلة يريد أن يبعدها، لا يريد أهل البيت، يحاول أن يتخلص منها بأي طريقة ويتمسك بأشياء واهية ليست مقبولة، وليست منطقية.

وأهل البيت أنفسهم من واجبهم أن يكونوا بالشكل الذي يشد الناس إليهم. هذه القضية طرحناها في محاضرة في (مسؤولية أهل البيت). الشخص من أهل البيت لا يرى بأنه (هكذا لازم لازم أن يحبونا على ما أنا عليه، يقدرونا على ما أنا عليه)! فأنت تريد من الناس أن يقوموا بما يفهم من أحاديث معينة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت لا تقوم بواجبك أمام هذه الأمة! شرف أهل البيت مرتبط به مسؤولية كبيرة على أهل البيت أن يكونوا رحماء بالأمة، أن يجاهدوا من أجل الأمة، أن يهدوا الأمة، أن يرشدوا الأمة، أن يقدموا أنفسهم من أجل الأمة، وهكذا.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزواته يقدم أهل بيته هو، وكان أوائل الشهداء من أهل بيته في المعارك، في (بدر) الذين برزوا للمشركين في أول معركة هم من أهل بيته، من أقاربه، من أسرته. فالشخص الذي لا يقوم بمسؤوليته نهائياً، لا ينقد على الناس، يكون دائماً مشغولاً بأن يحبوه، ويودوه... إلخ، وليس مشغولاً بأن يقوم بمسؤوليته.

يروى بأن الآية في قول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج: ٧٨) خطاب لأقارب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا خطاب لهم، عليهم أن يتفانوا في هذه القضية. والجهاد ليس خيراً للأمة؟ أليس إحساناً للأمة وإنقاذاً للأمة؟ كلّفوا هم بأن يكونوا متفانين في هذا الموضوع. وقضية أهل البيت إذا كنا ممن يمارس التعليم مثلاً، تبدو القضية دائماً قلقة، إذا لم يحصل معرفة بالله، لم يحصل معرفة للإنسان معرفة بنفسه أنه عبد لله، فسيكون همه فقط أنه إن صح هذا من دين الله فمقبول، وبمجرد أن يصح له أن هذا من دين الله سيعتبره نعمة، ويعتبره شيئاً امتن الله به عليه، ويعتبره شيئاً من أجل مصلحته، ويعتبره شيئاً نجاته متعلقة به، ومربطة به.

إذا كان هناك فهم صحيح للدين من أساسه، ومعرفة صحيحة بالله سبحانه وتعالى، فقضية أهل البيت ستصبح قضية طبيعية قبولها، قضية طبيعية؛ لأنه حتى لو أجي أبحث موضوع الله سبحانه وتعالى، عندما يشّرّع لنا سبحانه وتعالى، وعندما تأتي تحاول أن تتعرف على كماله معرفة كافية فستجد أنت، تتساءل أنت قبل أن تعرف شيئاً عن أهل البيت: لازم، لازم، لا يمكن أن يفلتنا الله هكذا، لازم أن يكون هناك فنة يكون فيها أعلام لدينه، متمسك بهم، ونسير بسيرتهم، ونقتفي آثارهم. عندما نعرف سنة الله في الأمم الماضية، ونعرف عدل الله، وحكمته، ورحمته، فهو من سيقول: لا بد من هذا، لا بد من هذا، ويبحث هو، ويكفيه إشارات في المسألة، ويعتبرها قضية لا بد منها، ضرورة مرتبطة بعدل الله، وبحكمته، وبرحمته.

أيضاً في محاضرة سابقة ربما أنكم قد سمعتم حول هذا الموضوع كلاماً كثيراً حول هذه النقطة بالذات، وجئنا بمثال: أنه ممكن لو أن المسألة ليست على هذا النحو، أن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه قد جعل ما فيه الكفاية، وفوق الكفاية، ولا لورد سؤال على الله: لماذا تبعث رسولاً قبل ألف وأربعمائة سنة في الجاهلية الصغرى، وهو قال لنا: ((أن هناك جاهليتين أخراهما أشد من أولاهما)) وتبعث أنت على بعد ألف وأربعمائة سنة، لمجموعة من البشر، ونحن تفلتنا، نحن وهذه الجاهلية، ما ندري كيف نعمل، ولا كيف نسير؟! ألم يكن معنى هذا أننا أحوج إلى النبي في هذا العصر من ذلك الزمن؟ أليس معناه هكذا؟

أيضاً ما هو البديل؟ هل هناك بديل فيه الكفاية، هناك بديل فيه الكفاية؟ ما معنى بديل؟ أي: هل هناك أعلام؟ لأن القضية هي قضية أعلام لدين الله، أنبياء، أو أئمة هداة. هكذا المسألة، هي على هذا النحو، كانت سائرة في بني إسرائيل، وهي سائرة في أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك نقول: سيكون هناك سؤال كبير يهز حكمة الله، يهز عدله، يهز رحمته، يهز كماله ب كله.

من عدالتك أنك كان تترك محمداً في القرن العشرين، لا أن تبعثه قبل ألف وأربعمائة سنة نبياً للناس جميعاً، ومات واختلفنا عنه، وما زلنا مهتدين بعذابك إذا عصيناك. اختلفنا عنه حتى ضاع علينا دينه، حتى أصبحنا كذا، وفي الأخير ليس هناك ما نسير عليه! أليست هذه ستكون إشكالية؟ تطلع إشكالية كبيرة جداً بالنسبة لله

سبحانه وتعالى، أي: سؤال على الله - إن صحت العبارة - لكن الله يعلم أن أهل بيته قد جعل فيهم أعلاماً لدينه، وفي المسألة كفاية وفوق الكفاية، وإذا لم نقل بهذا فلا نستطيع أن نجعل شيئاً آخر بديلاً أفضل، أي: مسألة أخرى، قول آخر، نظرية أخرى، تكون أفضل من هذه الفكرة، ما هو البديل في المقابل؟ عندما نقول: لا، لا نحتاج إلى أهل البيت نهائياً، لا نحتاج إلى أعلام! أليس البعض يقول هكذا؟ لكن لا نحتاج إلى أعلام، فمعنى ذلك لا نحتاج إلى أنبياء، أليس الأنبياء أعلاماً؟

إذا قلنا: لسنا بحاجة إلى أعلام، فنحن نرى ما هو قائم نحن مختلفون فيه، فنحن رأينا أنفسنا ضعفاً، وتهناً، ولم نهتد حتى والقرآن قائم بين أيدينا! أليس القرآن قائماً؟ أليس ما يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه (صلى الله عليه وسلم) قائماً، وموجوداً؟ ومع هذا لم يتحقق لنا ما نتحقق لمن كانوا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن في مواجهة الجاهلية الكبرى، والجاهلية الخبيثة، والجاهلية المسلحة بأفتك الأسلحة، ونحن لا نملك أكثر مما هو حاصل. فقط لدينا القرآن على هذا النحو فاختلنا فيه، أليس الناس اختلفوا فيه؟ اختلفنا في القرآن، بل حاولوا أن يجعلوا القرآن حرباً لله، يأتي واحد من المفسرين يفسره، وفي الأخير تخرج من التفسير وإذا بالقرآن كله قد أصبح يحكم على الله بأنه أجبر عباده على معصيته، وأنه ساقهم إلى معصيته، وأنه قدّر عليهم معصيته، وأنه يريد الظلم لعباده، وأنه وأنه... إلخ.

ألم يتحول القرآن كله في الأخير إلى حرب لله؟ معنى هذا أنه لم يحصل لنا مخرج، والمخرج لا يتحقق إلا بمجموع الأمرين: كتاب وأعلام. ويمكن أن تبحث إذا أمكن أن تجعل أعلاماً، إذا ممكن أن يسبر من بني أمية أو ممكن من بني العباس، إذا ممكن من بني تميم، أو بني عدي، أصحاب أبي بكر وعمر، أو بني زهرة، هل سيمكن؟ لن نحصل على فئة من هؤلاء مثلما هو موجود في أهل البيت.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله.

[الله أكبر / الموت لأمریکا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ١٨ من ذي الحجة ١٤٣٧ هـ
الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦ م

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦
دروس معرقة الله				
الثقة بالله - الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢/١/١٧	«اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» ٢٠٠٢/١/٢٤	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣	لتحذرن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩	«وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى» ٢٠٠٢/٢/١٠
«وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجَنِّ» ٢٠٠٢/٢/١١	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٢/٨	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٢/٩	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٢/١٦	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٢/٢٣
«وَمَخِيَّائِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ» ٢٠٠٢/٢/٢٦	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٢/٨/٢٩	«وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢٠٠٢/٩/٢	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	«وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» ١٤٢٣هـ
الموالة والمعاداة ١٤٢٣هـ	«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» استقاموا	الوحدة الإيمانية	«فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» ٢٠٠٢/١٢/٢١	«وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ» ٢٠٠٢/١٢/٢١
دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٣ إلى تاريخ ٢/٣/٢٠٠٣				
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١-٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧-١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤-١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١١٥-١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦-١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٧-٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥-٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٣-٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات (٢٧٥-٣٢٢) من آل عمران ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣-٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢-١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١١٦-١٦١) آخر السورة ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١-٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣-١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥-آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١-٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧-٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٨-١٠٠) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١-٢٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٢٩-١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣-آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨-١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣-آخر السورة) ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ



[illegible]

الاسم : المدرسة :		الله أكبر		الصف : السنة الدراسية :	
النعمة على اليهود					
النضر للإسلام					
الأسماء : السبت الأحد الإثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس					